نوافذ إلى قلوب الآخرين

٤٠ مفتاح من مفاتيح القلوب



الطَّبعَة الأولى
١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

نوافذ إلى قلوب الآخرين

٤٠ مفتاح من مفاتيح القلوب

دليل عملي للتآلف
وتعميق الأخوة وكسب القلوب

عصام الغمامي



إهداء وشكر

أهدي هذه الرســالة إلى صاحبة القلب الحنون التي احتملتني الســنين الطوال، إلى أمــي الغالية أطال الله ســبحانه عمرها في الخيــر ثم إلى أبــي الغالي رحمه الله تعالى. وأعلى درجته في عليين.

كما أهديه إلى زوجتي الفاضلة التي أعانتني كثيراً على الدنيا ومتاعبها، وإلى أولادي الأعزاء (محمد ومها ومريم وملاك)

وإلى كل مشايخي ومعلمي الأفاضل.

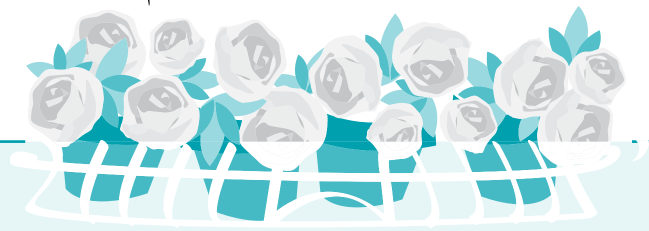
ثم أخص بالشــكر الجزيل الأخ الصدوق الفاضل طه فاضل الخضر، الذي شــجعني كثيراً على كتابة ما معي من بحوث ورسائل ومن جملتها هذه الرسالة؛ حتى أنه أدخلني في تحدٍ معه على إنجازها.

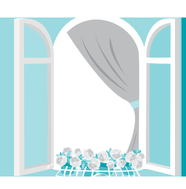
والشــكر موصولاً للأخوين: عوض العماري، وأبي راشد أحمد ناجي على ما أبدياه لي من ملاحظات قيمة. كما أشــكر الأخ خالد باكير على ما قام به من مراجعة الكتاب وإبداء ملاحظات عليه.

ثم أهديها إلى شــخص يحب أن يكســب قلوب الناس ويدخل إلى أعماقها، أهديه نوافذ للولوج.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الرسالة البســيطة في مبناها العظيمة في معناها.

وأسأل الله تعالى حسن التوفيق والقبول. إنه أكرم مسئول، وخير مأمول.





قبسات من نور الهدى

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

من حديث أبي هريرة رفعه «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» رواه البزار بسند حسن. فتح الباري (١٠/٤٥٩).

عن بشر أبي نصر: أن عبدالملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص، فسلم ثم جلس، ثم لم يلبث أن نهض. فقال معاوية: «ما أكمل مروءة هذا الفتى. فقال عمرو: «يا أمير المؤمنين إنه أخذ بأخلاق أربعة: وترك أخلاقاً ثلاثة: إنه أخذ بأحسن البِشْر إذا لقي، وبأحسن الحديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حُدث، وبأيسر المؤونة إذا خولف، وترك مزاح من لا يوثق بعقله، ولا دينه، وترك مجالسة لئام الناس، وترك من الكلام ما يعتذر منه» الفقيه والمتفقه (٢/٢٤٠ـ٢٤١)

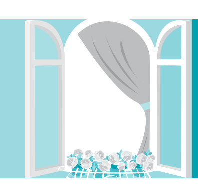


قال أبو الفتح البستي:

كُنْ رَيِّقَ البِشْـــرِ إنْ الحُـــرَّ هِمَّتُهُ
صَحيفَـــةٌ وعَلَيهـــا البِشْـــرُ عُنْوانُ

قال أبو عبد الله أحمد بن الجلاء: «الدنيا أوسع رقعة، وأكبر زحمة من أن يجفوك واحد فلا يرغب فيك آخر» وأنشد:

تلقى بـــكل بـــلاد إن حللت بها
أهـــلاً بأهـــل وجيرانـــاً بجيران



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، وصحابته أجمعين. أما بعد:

فقد خلق الله تعالى الإنسان وأعطاه خصائص وصفات تميزه عن غيره ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين: ٤] ومن هذه الصفات: أنه يَألَف ويُؤلَف، ويُحِب ويُحَب.

وكما قيل: الإنسان مدني بالطبع، ويشـــهد لذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] ولا تحدث هذه المدنية إلا بالخلطة والاجتماع، وحتى يستطيع المرء أن يعيش بسعادة كاملة في ظل هذا الاجتماع؛ لا بد له مـــن أن يمتلك قلـــوب الآخرين، ولا يقدر علـــى ذلك إلا بمداخل يلج من خلالهـــا إلى قلوب الناس، ويتربع على عروشـــها ملكاً مكرماً محبوباً ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والإنسان في الدنيا مع من يحتك بهم من الناس أمام رجلين: إما

صديق وحبيب، وإما عدو وكاره، فالأول: من استطعت أن تدخل إلى قلبه، وتكسب محبته. والثاني: من لم تدخل قلبه، ولم تجني إلا عداوته وكرهه.

ولذلك كان العاقل اللبيب من يحسن الولوج إلى نوافذ القلوب، فيفتحها برفق وسهولة، ويكسب ما بداخلها، والجاهل العاجز من لا يحسن فتحها؛ فيكسرها، ولا يحصد إلا الأشواك، وسخط صاحبها.

ولذلك كانت هذه الرسالة: تنبيهاً للغافل، وتبييناً للجاهل، وتذكيراً للعارف؛ بالنوافذ التي يدخل بها إلى قلوب الآخرين.

فأسأل الله تعالى التوفيق والسداد إلى أحسن القول والعمل، وقبول هذا العمل عنده، وعند عباده الصالحين، والنفع بهذه الرسالة جميع المسلمين، بل والعالمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه

عصام الغمامي



بين يدي الكتاب

قبل الدخول في هذه النوافذ هناك مســـائل أحب البدء بالحديث عنها وهي:

المسألة الأولى: أبواب أم نوافذ.

قـــد يتســـاءل البعض لمـــاذا نوافذ وليســـت أبواب إلـــى قلوب الآخرين؟ وأقول الأمر واســـع، ولكن في نظـــري أن النوافذ أولى؛ وذلك لأن القلب محاط بسياج البدن فلا باب ينفذ إليه، وإنما نوافذ توصل إليه: فالعين نافذة البصر والمشـــاهدة، والأذن نافذة للســـمع، والعقل نافذة للوعي، وهكذا.

وكلها تُأثر بما تعكسه من أحداث، وصور، ووقائع، وغيرها، تأثر على القلب مشاعر، وأحاسيس، إما: سلباً، أو إيجاباً.

فالابتسامة ترى بالعين، والسلام يســـمع بالأذن، والإحسان إلى الآخرين يوعـــى بالعقل، فتصل هذه إلـــى القلب عبر هـــذه النوافذ المفتوحة؛ فتعكس عليه محبة صاحبها.

المسألة الثانية: العمل أم العلم.

وهنا لا يفهم التخاصم بيـــن العلم والعمـــل، أو وجود أحدهما



وزوال الآخر، وإنما الذي أردته أن هذا كتاب عمل لا علم فقط، وأن ما سطر فيه؛ فقط ليذكر بنوع الأعمال والصفات.

والعمل إنما هو ثمــرة العلم، وعلم بلا عمل كشــجرة بلا ثمر، وهذه الشجرة لا يحتاج إليها أحد، لأنها لا تنفع غالباً.

إن العمل ثمرة العلم ولهذا قال الإمام علي: «هتف العلم بالعمل؛ فإن أجابه وإلا ارتحل»[١] وقال الفضيل بــن عياض: «لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالماً»[٢] وهذا الذي أردته في هــذا الكتاب؛ لأنه مهما قرأت فيــه، ووعيت ما فيه، حتى ولو حفظته كله، فلــن يثمر لك محبة الآخريــن، وفتح قلوبهم لك، ما لم تتصــف، أو تقم بعمل الصفــات التي ذكرت فيــه، على قدر استطاعتك، وقدراتك.

المهم من هذا الكتاب أن تنفذ إلى قلوب الآخرين فعلا وليس أن تعرف كيف تنفذ إليها.

ما يفعل الناس بمعرفتك إن لم يروا ذلك في معاملتك.

قال بعضهم:

اعمل بعلمك تغنــم أيها الرجل لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل
والعلم زيــن وتقــوى الله زينته والمتقون لهم في علمهم شــغل

(١) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل.
(٢) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل.

وحجــة الله يــا ذا العلــم بالغة   لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل
تعلم العلم واعمل ما استطعت به   لا يلهينــك عنه اللهــو والجدل

الحقيقة في هذا الكتاب هي أنك أنــت وأنت وحدك من يصنع هذه النوافذ ويوجدها في حياته بأمر الله تعالى، ليكسب بها القلوب وإنما دوري أنا فقط هــو التذكير بها وإضاءة الطريق إليها، وأنت من يسلك الدروب ليفتح القلوب ويجني ثمرات هذه الأعمال. ومكسبي الوحيد هو أننــي زرعت الفكــرة فأثمرت البذرة وهنــاك من تعهد غرســها وجنى ثمارها، فكنت مشــاركاً في نشــر الخير والنفع بين الناس، والدال على الخير كفاعله. ولعلي أسكن قلباً وأدخل إليه من النوافذ التي صنعها فيه من استفاد من رسالتي هذه. لأنني كنت دالاً له على صنعها. فقد قال الحطيئة:

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ   لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللهِ وَالناسِ

المسألة الثالثة: لماذا القلوب؟ ومن هي القلوب المستهدفة؟

القلوب بالذات لأنها معدن الشعور والأحاسيس، ومهبط المحبة والاحترام، وأساس المودة والوئام.

إن الذي يحبك من قلبه فذلك المحب حقّاً، فكم رأينا، وسمعنا، عمن يخضــع لآخر بعقلــه، أو بقوله، أو ببدنه، وينفــذ له أمره، بل وربما ســابق ونافس في ذلك، ولكنه مبغض له في قلبه، حاقد عليه في سويدائه، لو سنحت له الفرصة لفتك به، وكأنه لم يعرفه يوماً من

الدهر، وإنما يبقى معه لأجل مصلحة لنفسه، أو من يحب؛ إما: بجلب خير، أو دفع شر.

إن ما يعبر عن حقائق الناس، ونفوسهم؛ هو ما في قلوبهم، وليس ما يظهرونه غالبا، إلا إذا كان موافقاً لما في القلب، وكم اغتر إنسان بظاهر آخر؛ فرفعه وأحبه، أو ذمه وشانه، فلما خبره، وأبدت له الأيام مكنونات قلبه، انعكس عليه الأمر، فعادت الرفعة خفضة، والمحبة كراهية، وعاد الذم مدحاً، والشين فخراً.

وانظر إلى المنافقين في كل زمان ومكان، فما يعبر عن حقائقهم هو ما في قلوبهم، وأما ظاهرهم فصالح غالبا فيما يبدو للناس، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٨، ٩] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

أما القلوب المستهدفة، فإننا نستهدف كل القلوب؛ لأننا مسلمون، وهذه وظيفتنا بعد رسولنا ﷺ فوظيفته العليا هي ما أخبر الله تعالى به ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ونحن على هذا الخط سائرون ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

لكن ها هنا ميزانان في سيرنا نحو القيام بهذه الوظيفة:

١ـ إننا نعلم يقيناً أنه ليس كل القلوب ستستجيب لنا، وتفتح نوافذها للترحيب بنا ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] لذلك فالقلوب التي قدر الله لها أن تفتح ستفتح، أما غيرها فلا، ومادام أننا لا نعلم الغيب حول أي القلوب ستفتح؛ فسنحاول فتح كل القلوب؛ لأن المجال مفتوح أمامنا على مصراعيه ففي الحديث «...... فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[(١)].

٢ ـ إننا لن نهلك أنفس نا على أي أحد لم يقبل أن يفتح قلبه لنا، إنما علينا المحاولة فقط ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] ونحن في طريق كسب قلوب الآخرين، لن نتنازل عن مبادئنا في مقابل كسبها، إنما كسبها يكون بمبادئنا، عن عائشة مرفوعا «من التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن التمس رضا الله، بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عليه الناس»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي وأبو نعيم في الحلية بلفظ قريب منه، والحديث بأصله حسن حسنه السيوطي والمناوي.

لكننا نفترض، بل ونوقن، أنه ليس كل القلوب ستجمع علينا، وليس كل النفوس سترغب بما عندنا، وليس كل البشر سيكونون معنا، ويتفقوا علينا، كيف؟!! والحال أن الخلق قد اختلفوا على الخالق سبحانه، وعلى الرسل والأنبياء، وعلى العلماء والصلحاء والمصلحين، فما الحال معنا نحن الذين ربما يكون أحدنا من عوام الناس؟!!!!

وهذا أمر جرى مع كل المصلحين من قبلنا حتى الأنبياء ففي الحديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلين والنبي وليس معه أحد»[١].

المسألة الرابعة: لماذا لا تكفي نافذة واحدة؟

قد يتساءل البعض فيقول: لماذا لا تكفي نافذة واحدة؟ أو عدد قليل من النوافذ، لنصل بها إلى القلوب، ولنقدر على فعلها، والقيام بها. فأقول: لا تكفي نافذة واحدة وذلك لعدة أسباب، وهي:

١ ـ لأنه ليس كل الناس يحسن نافذة واحدة، فالبعض لا يحسن الابتسام، بل طبيعة خلقته أنه مقطب الجبين، فيصلح معه نوافذ أخرى، بل ربما يحسن نافذة في وقت ما، ولا يحسنها في وقت آخر لعلة من العلل.

---

(١) رواه أحمد.

٢ ـ لأن التنويع في كل شـــيء مطلوب؛ لئلا تمل النفوس سواء: صاحبهــا، أم الآخريــن، ولذلك نوع فـــي العبادات الشــرعية. على اختلاف الأوقات والأماكن والأحوال والنفسيات.

٣ ـ لأنه ليس كل النـــاس تنفع معه نافذة واحدة، أو عدة نوافذ، ليفتح قلبه للآخرين، فالبعض لا ينفع معه: لا الابتسامة، ولا السلام، إنما يثمر معه المعــروف مثلا، والبعض حتى لا يثمر معه المعروف، كما قال أبو الفتح البستي:

لا تَحسِبِ النَّاسَ طَبْعاً واحِداً فَلَهُمْ   غرائــزٌ لسْــتَ تُحصِيهــا وَأَكْنانُ

وقال المتنبي:

إذا أنــت أكرمــت الكريم ملكته   وإن أنــت أكرمت اللئيــم تمردا

وقال إبراهيم طوقان:

أصبحتُ لا يَشفي غليلي ابتسامْ   ولا انحنــاءُ الرأسِ عند الســلام

٤ ـ كما أنه ليس كل الناس سيتفق معنا على هذه النوافذ، فهناك من ســيخالف في بعضها، أو كثير منها، وســيرى أنها لا تصلح أن تكون نوافذ إلى القلوب، أو أن في بعضها تداخل.

المسألة الخامسة: ماذا في هذه النوافذ.

فيها قليل من الكلام، وبعض العبارات والشــواهد، فلست ممن يحســن الكلام ولا تزويقه، ولا بلاغته، بل هذا (جهــد المقل) وأنا أقطع يقيناً أن القارئ الكريم سيجد في كثير من الكتب، والدروس،

والأشرطة، ومواقع الانترنت، وغيرها، كلاماً أجمل وأحسن، وأفضل ترتيباً وإحكاماً، وأعظم بلاغة، وأكثر تقسيماً واستشهاداً، مما هو مكتوب في هذه الرسالة. لكن حسبي أن أقول ما قاله الأول (خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيمل) وأيضاً (ما قل وكفى خير مما كثر وألهى).

وأنا أظن ـ إن شاء الله تعالى ـ أن ما في هذه الرسالة ونوافذها قليل كاف، وأنه من جيد الكلام، وأن هذه قنوات من بحر العلوم والمعارف، والعلم بحر لا ساحل له، ومن حسن اختيار المرء أن يأخذ من البحر قنوات عذبة مرية هنية، ربما نفعت الآخرين، فزرعت خير الغراس، وأثمرت في حياتهم خير الثمار.

المسألة السادسة: لقد ختمت كل نافذة بحكمة تسير بها في الحياة وتجعلها ميزان لك نصب عينيك.

ولا أقول أني حكيم ولا من أهل البلاغة وأصحاب الأمثال لكن هذه كلمات أجراها الله سبحانه بتوفيقه على خاطري فصاغها قلمي في هذه القوالب الكلامية، ومنها ماهو حديث أو مثل أو مقتبس منهما.

المسألة السابعة: ثلاث خطوات عملية مهمة.

وأذكر هنا ثلاث خطوات عملية مهمة وهامة تصلح لأغلب هذه النوافذ عندما يريد أحد أن يطبقها ويقوم بها.

١ـ «**اكســـر الحاجز**» الخطوة الأولى (ابدأ) كيـف تتغلب على صعوبة الســـير في الأمر الذي تريده وذلك بأن تبدأ بالمرة الأولى، لا بــد أن تقوم بذلـــك مهما كلف الأمــر ولو بتكلــف ظاهر ولو بتدريب يومي ولو أن تمارس ذلك مع الأشياء الجامدة من حولك وكأنك تخاطب أو تعامل بشــراً حقيقيين، المهــم أن تتغلب على البداية وتخطو الخطوة الأولى، وهنا ستشعر بمتعة المحاولة والسير فيها.

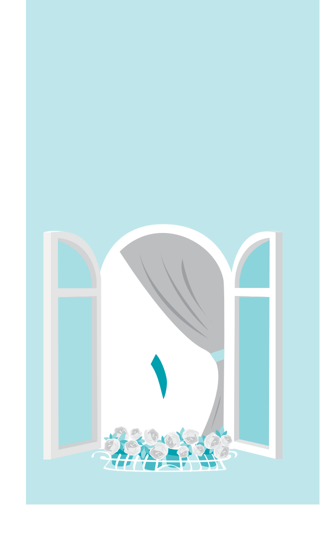
٢ ـ «**تجــاوز العقبة**» الخطــوة الثانية (الاعتــراض الأول) وهي المعارضة الأولــى أو الإعراض أو الســخرية أو الانتقاد أو الاعتداء بالقول أو بالفعل أو بالهمز واللمز أو بالرفض .... ونحو ذلك. لا بد أن تبرمج نفسك مسبقاً على تلقي هذه العقبة بصدر رحب وتجاوزها بدون أن تأثر عليك أو تصدمك أو تعيقك أو تعيد برمجتك إلى عدم المحاولة مرة ثانية، بأن كل الناس يواجه بمثل هذا.

٣ ـ «**استقم على الطريق**» الخطوة الثالثة (كرر المحاولة مرة ثانية واكسر حاجز التعميم) في حالة ما إذا وجدت المعارضة فحاول مرة ثانية وابقى على المحاولة واســتمر في طريقك فقد جربت الســير وعرفت العقبات، وســتجد أنه ليس كل الناس كما كنت تظن فالدنيا أوسع رقعة وأكبر زحمة من أن يجفوك أحد فلا يرغب فيك آخر. أما إذا لم تجــد معارضة فــلا بأس مــن وجودها بعد ذلــك بعد عدة

محاولات وتكــرارات لأنك ســتكون قد برمجة نفســك على هذه النوافذ وشعرت بمتعة ما تقوم به من كسب القلوب.

هذه الخطوات الثــلاث كن منها على ذكر دائماً لأنني ســأحيل عليها كثيراً في كثير من النوافذ لأنها تصلــح لكثير منها، فلا داعي لتكرارها هناك.

فهذه بضاعتــي المزجاة أعرضها على الكــرام، فما كان فيها من صواب فمن الله تعالى وحده، ثم من هدي رســوله ﷺ وما كان فيها من خطأ، فمن نفسي، والشيطان.



الابتسامة

الابتسامة عمل يسير وسهل، فهو عبارة عن انفتاح أسارير الوجه، وانفراج الفم، فهو انفتاح وانفراج؛ وهذا من حسن التفاؤل.

والابتسامة مصدر قوة لصاحبها، وهي سلاحه الفعال، ولكن ليس للقهر والغلبة، وإنما لكسب القلوب بالمحبة والإجلال، والمودة والإعظام.

إن سر الابتسامة؛ أن تُظهر معنى الجمال الذي في داخلك المخفي عن أعين الناس، فهم: إما أن يعرفوه مع طول الصحبة والزمن من خلال: أقوالك، وأفعالك. وإما أن يعرفوه للوهلة الأولى من لقائهم لك، عن طريق ابتسامتك. فقد روى البزار بسند حسن من حديث أبي هريرة رفعه «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم: بسط الوجه، وحسن الخلق»[1].

إن الابتسامة سحر بليغ، حتى إنها لتخدع الآخرين، فمثلاً قد يكون الشخص مجرماً خطيراً، أو قاتلاً فتاكاً، أو سارقاً محترفاً،

---

(١) فتح الباري (١٠/٤٥٩).

وأنت لا تعلم، فإذا ما واجهك بالابتســـامة؛ فلن تســـتدل منها على ما وراءها من حقيقـــة صاحبها، بل بالعكس ســـتنطبع لديك صورة أخرى عنه، هي صورة الجمال المدلل عليه بالابتسام.

وكذلك لو كان الإنســـان في حـــزن عظيم، وهـــم كبير، وضيق شديد، ثم رأيته فتكلف التبسم في وجهك؛ تظن أنه في فرح شديد، وسهولة أمر، ويسر معيشة وحياة، والعكس هو الصحيح، وما اختلف الحكم إلا بالابتسامة، فلو رأيته عبوساً، مقطب الجبين والحاجبين، شـــرس النظرة؛ علمت من هذا المنظر ما وراءه من حزن، أو خبث، وإنما خدعتك الابتســـامة، فإذا كانت هذه في حق هؤلاء، فهي أهل لأن تكون في حق الســـعداء، وفي حق أهل الاســـتقامة، رغم مرارة الحيـــاة؛ لأنها من أهل الجمـــال جمال على الحقيقـــة، ومن غيرهم جمال تكلف، سرعان ما تزول وتذهب.

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»[1].

وليس هذا صدقة لك فقط؛ لإدخالك المحبة بينكما، وإنما أيضاً صدقة على نفسك؛ لتكسب السعادة.

إن من الأمور المهمة فـــي الحياة، ومن أمتـــع ما فيها؛ أن ترى ابتسامة على وجه إنسان؛ هي من صنع يديك.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن حبان.

أن ترســـم ابتســـامة معناه: أن تضع بصمة على قلوب الآخرين، تذكرهـــم دائماً بك: كلما رأوك، أو مـــررت بمخيلتهم، عن جرير بن عبد الله البجلي ﵁ قال «ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي»[١].

إن الابتســـامة لا تكلفك شـــيء: لا في المال، ولا فـــي الجهد، ولا في الوقت، فعن أبي ذر قال: قال لـــي النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[٢].

الابتســـامة: ســـر الجمال، والســـحر الحلال، بها يحسن القبيح، وبدونها يقبح الحسن.

الابتســـامة الصادقة؛ تنبـــع من القلب، في ســـمو مـــن الروح، واطمئنان من النفس، وارتياح من الضمير، ولو وجدت الأحزان، قال ابن الزقاق البلنسي:

ويـــا أســـفا ألّا أُطيـــقَ ابتســـامةً
إذا خَطَبَتْ للهـــمِّ حولي غَياهب

أما الابتســـامة المتكلفة: فهي رســـمة على الوجـــه وتعابيره، قد تتقنها لوحة فنان؛ لكن لا يخفى غالبـــاً ما فيها، لكن المهم أنك في الأخير ترسم ابتسامة، تراها العيون، وقد تشعر بها الأرواح.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.

كثيرة هي الطرق، والأشـياء، التي تواجه بهـا تحديات الزمن، ومصائبـه، ومصاعبه، لكن من أجملها الابتسـامة، بل والابتسـامة العريضة. فمن أجمل الأمور أن ترسم على شـفتيك ابتسامة، وأنت في عينيك ألف دمعة. **فدمعة مع ابتسـامة خير من دمعة بلا ابتسامة فهناك فرق.**

قالوا في الأمثال: «كن جميلاً ترى الوجود جميلاً». ثق يقيناً أنك عندما تبتسم ستكون جميلاً وستنظر للأمور بزوايا أخرى، ستجد من جملتها الجمال الكامن فيها. قال علي محمود طه:

وبريءُ ابتسـامةٍ في فـم الأيام كانـت عـزاء قلـبٍ كسـيرِ

لا شيء أسهل فعلاً من الابتسامة، ولا أرخص تكلفة منها، لكنها من أغلـى الأشـياء، وأثمنها؛ لأنك بها: تكسـب القلـوب، وتفرح النفوس، وترسـم منظراً جميلاً على محياك، يسـتحق المشاهدة من قبل الآخريـن، وأيضاً من نفسـك وأنت تراها في المـرآة، أو على صفحات الابتسامة المقابلة على وجوه الناس.

إن من طـرق كسـب الأصدقـاء ومحبتهـم: أن تلقاهـم دائماً بالابتسامة، والبشر في المحيا، والطلاقة في الوجه؛ لذلك أرشد إليه خير الخلـق ﷺ «لا تحقرن من المعروف شـيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[1].

(١) رواه مسلم.

عن مكحول قال: «التقى يحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ فضحك عيسى في وجه يحيى، وصافحه. فقال له يحيى: يا ابن خالتي أراك ضاحكاً؛ كأنك قد أمنت!! فقال له عيسى: يا ابن خالتي ما لي أراك عابساً؛ كأنك قد يئست!! فأوحى الله إليهما: «أن أحبكما إليَّ أبشكما لصاحبه»[١].

قال أبو الفتح البستي:

كُنْ رَيِّقَ البِشْرِ إنْ الحُرَّ هِمَّتُهُ صَحيفَةٌ وعَلَيها البِشْرُ عُنْوانُ

عن الأصمعي قال: سمعت ابن المبارك يقول: «إنه ليعجبني من القراء كل طلق مضحاك، فأما من تلقاه بالبشر، ويلقاك بالعبوس، كأنه يمن عليك بعمله، فلا أكثر الله في القراء مثله»[٢].

ولو نظرنا في حياة النبي ﷺ لوجدنا أمراً عجباً فقد كان «شعاره الابتسامة: ما أحوج الإنسان؛ في زمن كثرت فيه الضغوط الاجتماعية، والأمراض النفسية، إلى ابتسامة تعلو الوجوه، كالابتسامة التي رسمها محمد ﷺ على وجوه من آمن برسالته، فمحمد الرسول تجاوز بأتباعه المؤمنين به، الملتزمين بتعاليمه، متاعب الحياة، وضغوط المجتمع، وترفع بهم عن الأزمات النفسية، التي تنكد حياة البشر، وعانق بهم السعادة، وراحة القلب، فعن عبدالله بن الحارث قال: (ما

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس ومن طريقه الخطيب في الفقيه والمتفقه.
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق.

رأيت أحدا أكثر ابتسامة من رسول الله)[١]. فكانت الابتسامة شعار محمد الرسول في حلّه وترحاله، حيث كان لا يرى إلا مبتسماً، فتمسح ابتسامته العذبة آلام من يقابله، وتداوي جراح من يرافقه»[٢].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ راجع الخطوات الثلاث المذكورة في المقدمة.

٢ ـ ابدأ فابتسم لنفسك في المرآة أمامك ثم قطب حاجبيك وأظهر الغضب أو الضيق وهنا سترى الفرق بين جمال الأول وقبح الثاني مما سيجعلك تبرمج نفسك على التذكر كلما التقيت بأحد ما سيراه على وجهك من أحد المنظرين، وأنت تحب أن يراك الجميع في صورة الجمال لا القبح.

٣ ـ ابتسم ولو بتكلف لمن يقابلك حتى ولو لم تجد ابتسامةً في مقابلة ابتسامتك فيكفي أحياناً أن يكون الجمال من واحد لكن حاول أن تكون أنت ذلك الواحد.

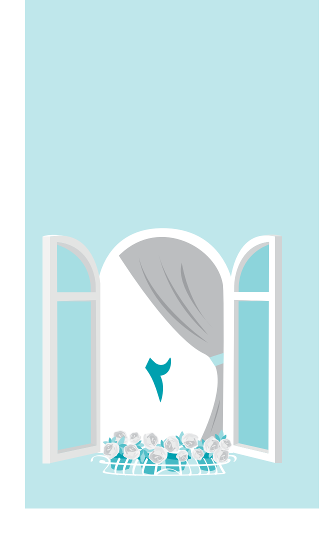
لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(ارسم ابتسامة تكسب سعادة)

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رسالة إلى الغرب ـ هذا هو محمد الرسول الذي يعظمه المسلمون ـ (١١/١)



السلام

الله هو السلام، والجنة دار السلام، والسلام تحية الإسلام.

السلام تسـليم وآمان، وهدوء واطمئنان، كلام يقال: فيكون سبباً للمحبة، والمحبة إذا كانت بين المسلمين ـ خاصة ـ فهي سبب لعمق الإيمان، والإيمان باب الجنة الأعظم، فقد روى مسلم في صحيحه، تحت « بـاب بيان أنـه لا يدخل الجنـة إلا المؤمنـون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سـبب لحصولها » عن أبي هريرة قال: قـال رسـول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتـى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السـلام بينكم»[1]. إن الذي تلقاه بالسـلام بأي لغة كان تأمنه بتسـليمك وتطمئنه بتحيتك فيأمن جانبك ويسر بك ويفتح قلبه لك لشعوره بالأمان من جانبك لأنك بدأته بالتحية والسلام والبداية دائماً تكون محل تأثير مباشر وربما يستمر طوال العمر.

لقد حث الشرع على السـلام، والاعتناء به، وإفشائه، وجعله باباً

(١) مسلم ج١/ص٧٤ حديث رقم ٥٤.

لدخـــول الجنة بســـلام، فمـــن حديث عبد الله بن ســـلام قـــال: قال رسول الله ﷺ: «يأيها الناس أفشوا الســـلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[١].

بل قد حث على إلقائه لكل مسلم، وجعله من خير أمور الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ « قال تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف»[٢].

قال ابن السيد البطليوسي:

وهاك ســـلاماً صادراً عـــن مودةٍ عَمَرتُ به منّـــي الجوانح والقلبا

لقد حث الشرع على الإحســـان في كل شيء، حتى في السلام؛ وذلك بأن يكون: الرد أحسن من الإلقاء﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦].

إن السلام لفتح القلوب كان من الوســـائل النبوية لجذب الناس إلى الهدى فقد أرسل إلى ملوك الدول وعظماء الأمم في زمنه « .... ســـلام على من اتبع الهدى ... » أي هذا سلامي إليكم لأجذبكم به إلى الهدى والنور، فأنا ســـلمت لأني أريد لكم السلامة والسلام في الدنيا والآخرة وهذه تكون بالهدى « قل إن هدى الله هو الهدى».

ولسائل أن يسأل فيقول: هل السلام لكل أحد؟ أم أنه للمسلمين

(١) أخرجه الحاكم وقال على شرط الشيخين، وأخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهم.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم

فقط؟ خاصة وقد ورد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه»(١).

أقول: أما الحديث فلا غبار عليه، فهو في الصحيح، وأما المسألة فقد اختلف السلف فيها فمنهم من رأى السلام عليهم مطلقاً، وبعضهم لحق الصحبة، والسفر، والجوار، أو إذا كان له عنده حاجة، وقد فعله قوم، وتركه آخرون.

ولو قال قائل: هذا المراد به السلام الشرعي، لكن يمكن تحيتهم بلغتهم، مثل: (جود مورننج) أو غيرها، من ألفاظهم، مما ليس فيه التحية الشرعية؛ لأنها خاصة بنا، كما ورد أنه « قد احتج أهل المقالة الأولى، بأن السلام الذي معناه التحية، إنما خص به هذه الأمة، لحديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أعطى أمتي ثلاثاً: لم تعط أحداً قبلهم السلام وهي تحية أهل الجنة،......... الحديث ذكره الترمذي الحكيم»(٢).

ولتوضيح هذه المسألة أورد لك بعض النقول فيها، قال الحافظ ابن حجر: «قال النووي: السنة إذا مر بمجلس فيه مسلم وكافر؛ أن يسلم بلفظ التعميم، ويقصد به المسلم، قال ابن العربي: ومثله إذا

(١) رواه مسلم
(٢) تفسير القرطبي(١١٣/١١)

مر بمجلس يجمع أهل السنة والبدعة، وبمجلس فيه عدول وظلمة، وبمجلس فيه محب ومبغض، واستدل النووي على ذلك بحديث الباب، وهو مفرع على منع ابتداء الكافر بالسلام، وقد ورد النهي عنه صريحاً فيما أخرجه مسلم والبخاري في الأدب المفرد، من طريق سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، واضطروهم إلى أضيق الطريق» وللبخاري في الأدب المفرد والنسائي من حديث أبي بصرة الغفاري أن النبي ﷺ قال: «إني راكب غداً إلى اليهود فلا تبدءوهم بالسلام» وقالت طائفة: يجوز ابتداؤهم بالسلام، فأخرج الطبري من طريق ابن عيينة قال: يجوز ابتداء الكافر بالسلام، لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ وقول إبراهيم: لأبيه ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ وأخرج ابن أبي شيبة عن محمد بن كعب أنه سأل عمر بن عبدالعزيز عن ابتداء أهل الذمة بالسلام؟ فقال نرد عليهم، ولا نبدؤهم، قال عون: فقلت له: فكيف تقول أنت؟ قال: ما أرى بأساً أن نبدأهم، قلت: لم؟ قال: لقوله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾ وقال البيهقي: بعد أن ساق حديث أبي أمامة «أنه كان يسلم على كل من لقيه، فسئل عن ذلك؟ فقال: إن الله جعل السلام تحية لأمتنا، وأماناً لأهل ذمتنا» هذا رأي أبي أمامة. وحديث أبي هريرة في النهي عن ابتدائهم أولى، وأجاب عياض عن الآية وكذا عن قول إبراهيم عليه السلام: لأبيه؛ بأن القصد بذلك

المتاركة والمباعــدة، وليس القصد فيهما التحيــة، وقد صرح بعض السلف بأن قوله تعالى: ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ نسخت بآية القتال، وقال الطبري: لا مخالفة بين حديث أســامة في سلام النبي ﷺ على الكفار حيث كانوا مع المسلمين، وبين حديث أبي هريرة في النهي عن السلام على الكفار؛ لأن حديث أبي هريرة عام، وحديث أسامة خاص، فيختص مــن حديث أبي هريــرة ما إذا كان الابتــداء: لغير ســبب، ولا حاجة، من حق صحبة، أو مجــاورة، أو مكافأة، أو نحو ذلك، والمراد منع ابتدائهم بالســلام المشــروع؛ فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه، كأن يقول: الســلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فهو جائــز كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره «ســلام على من اتبــع الهدى» وأخرج عبد الرزاق عن معمــر عن قتادة قال: السلام على أهل الكتاب إذا دخلت عليهم بيوتهم «السلام على من اتبع الهدى» وأخرج ابن أبي شــيبة عن محمد بن سيرين مثله. ومن طريق أبي مالك «إذا سلمت على المشركين فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فيحســبون أنك ســلمت عليهــم، وقد صرفت الســلام عنهم»قال القرطبي: في قولــه: «وإذا لقيتموهــم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه «معنــاه لا تتنحوا لهم عــن الطريق الضيق، إكراماً لهم واحتراماً، وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناســبة للجملة الأولى في المعنى، وليــس المعنى إذا لقيتموهم في طريق واســع

فألجئوهم إلى حرفه، حتى يضيق عليهـــم؛ لأن ذلك أذى لهم، وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب»[١].

وقال العراقي: «التاســعة: فيه الرد على أهل الكتاب إذا ســلموا، وقد قال أكثر أهل العلم: من السلف والخلف بوجوبه، ومنعه طائفة من العلمــاء، فقالوا: لا يــرد عليهم، ورواه ابن وهب وأشــهب عن مالك. أما ابتداؤهم بالســلام فمنعه أكثر العلماء، وذهبت طائفة إلى جوازه، وروي ذلك عــن ابن عباس وأبي أمامــة وابن محيريز وهو وجه لبعض أصحابنــا حكاه المــاوردي، لكنه قال: يقول: الســلام عليك، ولا يقول: الســلام عليكم بالجمع، وتمســك هؤلاء بعموم أحاديــث إفشــاء الســلام، وكيــف يصح التمســك بها مــع ورود المخصــص؟ وهو قوله: ـ عليه الصلاة والســلام ـ «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام» وقال بعض أصحابنا: يكره ابتداؤهم بالسلام ولا يحرم، ويــرده أن ظاهر النهــي التحريم وهو الصــواب، وقالت طائفة: يجوز ابتداؤهم به لضرورة أو حاجة أو سبب، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعــي، **وعن الأوزاعي أنه قال: «إن ســلمت فقد ســلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون»**[٢].

قال القرطبي: «وجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها، قيل: لابن عيينة،

(١) فتح الباري (٣٩/١١).
(٢) طرح التثريب شرح التقريب (١٠٥/٨).

هل يجوز السـلام على الكافر؟ قال: نعم، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وقـال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ..... الآية، وقال إبراهيـم: لأبيه ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ قلـت: الأظهر من الآية ما قاله سـفيان بن عيينة: وفي الباب حديثان صحيحـان، روى أبو هريرة أن رسـول الله ﷺ قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسـلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلـى أضيقه» (أخرجه البخاري ومسلم)، وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفـة فدكية، وأردف وراءه أسـامة بن زيد، وهو يعود سـعد بن عبادة في بني الحرث بن الخـزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهـود، وفيهم عبد الله بن أبي بن سـلول، وفي المجلس عبـد الله ابن رواحـة، فلما غشـيت المجلس عجاجـة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثـم قال: لا تغبروا علينا، فسـلم عليهم النبي ﷺ الحديث. فالأول: يفيد ترك السلام عليهم ابتداء؛ لأن ذلك إكرام، والكافر ليس أهله. والحديث الثاني: يجوز ذلك، قال الطبري: ولا يعارض ما رواه أسامة، بحديث أبي هريرة، فإنه ليس في أحدهما خلاف للآخـر، وذلك أن حديث أبي هريـرة مخرجه العموم، وخبر أسـامة يبين أن معناه الخصوص، وقال النخعي: إذا كانت لك حاجة

عند يهودي أو نصراني، فابدأه بالسـلام. فبان بهـذا أن حديث أبي هريـرة «لا تبدءوهم بالسـلام» إذا كان لغير سـبب يدعوكم إلى أن تبدءوهم بالسـلام، من: قضاء ذمام، أو حاجة تعرض لكم قبلهم، أو حق صحبة، أو جوار، أو سـفر. قال الطبري: وقد روى عن السـلف أنهم كانوا يسـلمون على أهل الكتاب، وفعله ابن مسـعود بدهقان صحبه في طريقه، قال علقمة: فقلت له: يا أبا عبدالرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسـلام؟ قال: نعم، ولكن حق الصحبة، وكان أبو أسامة إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ولا نصراني، ولا صغير ولا كبير، إلا سلم عليه، فقيل له: في ذلك، فقال: أمرنا أن نفشي السلام، وسئل الأوزاعي عن مسلم مر بكافر فسلم عليه؟ فقال: إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك، وإن تركت فقد تـرك الصالحون قبلك. وروى عن الحسن البصري أنه قال: إذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم»[١].

وخلاصة الأمر في هذه المسألة هي مقولة الإمام الأوزاعي: «إن سلمت فقد سـلم الصالحون قبلك، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك».

ومما يلحق بالسـلام المصافحة، إن ملامسـة الكفان تسري إلى الأبدان بروح إشـعاعية فتفتح باب القلب الكهربائي، فيسلم الرجل

(١) تفسير القرطبي (١١/١١١ - ١١٢).

على الرجل، والمرأة على المرأة ولا يسلم الرجل إلا على محارمه من النساء فقط، أما غيرهم فلا يجوز له ذلك.

والمصافحة باب لتكفير الذنوب عن سلمان الفارسي أن النبي ﷺ قال إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سالم بن غيلان وهو ثقة « وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال إذا تصافح المسلمان لم تفرق أكفهما حتى يغفر لهما رواه الطبراني وفيه مهلب بن العلاء ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات[1].

قال المناوي: «إذا تصافح المسلمان الرجلان أو المرأتان أو رجل ومحرمه أو حليلته يعني جعل كل منهما بطن يده على بطن يد الآخر إذ المصافحة كما في النهاية إلصاق صفح الكف بالكف وقال التلمساني وضع باطن الكف على باطن الأخرى مع ملازمة بقدر ما يقع من سلام أو كلام لم تفرق بحذف إحدى التاءين أكفهما يعني كفاهما كقوله تعالى « فقد صغت قلوبكما » حتى يغفر لهما أي الصغائر لا الكبائر لما مر فيتأكد المصافحة كذلك وهي كما في الأذكار سنة مجمع عليها ولا تحصل السنة إلا بوضع اليمين حيث لا عذر كما مر وظاهر الحديث لا فرق بين كون الوضع بحائل ككم

---

(١) مجمع الزوائد (٣٧/٨)

قميص ودونه ومر عن بعضهم خلافه ويكره اختطاف اليد»[١].

وقد روى ابن عدي عن ابن عمر مرفوعاً «تصافحوا يذهب الغل عن قلوبكم».

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ انظر الخطوات الثلاث المذكورة في المقدمة.

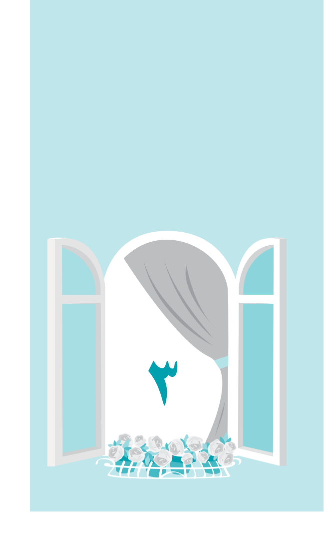
٢ ـ ابدأ أنت بالسلام لأنه يترجم عن باطنك فكل إناء بالذي فيه ينضح ومن كان في سلام داخلي مع نفسه فسينشر السلام للجميع.

٣ ـ حاول أن تتذكر دائماً أن المبتدأ بالسلام يكسب الأجر أولاً ثم مضاعفاً لأن الإجابة بسببه فهو من دل على الخير فله مثل أجر الراد كما أنه يكسب اللقاء لصالحه والموقف يكون في صفه من الجولة الأولى وكل ذلك بسبب كلمة قالها أو يد أرسلها للمصافحة.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(أفشي السلام تلقى الود والاحترام وتكسب المحبة والوئام).

(١) فيض القدير (٣١٨/١)



الهدية

الهدية تدل على المحبة، فلــولا المحبة في القلوب؛ لما أهديت إلى الآخر شــيئاً، وهي دالة أيضاً على الاحتــرام والتقدير، ولذلك تصلح لكل الناس مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن محبة، وغيره احتراماً، كما أنها نوع من الصدقة، والصدقة تصح للكل.

والنبي ﷺ قبــل الهدية مــن المؤمنين وغيرهم، ومــن أصحابه وغيرهم، فأهداه المقوقس عظيم القبط مارية ومعها أختها ســيرين، وعبداً خصيّاً يُدْعَى مأبور، وأَلْف مثقال ذهب، وعشرين ثوبًا لينًا من نســيج مصر، وبغلة شهباء تُســمى دلدل، وبعضاً من عسل، وبعض المسك، وبعض أعواد البخور، وقد حملها إلى النبي ﷺ حاطبُ بن أبى بلتعة رسول النبي ﷺ إلى المقوقس.

وكان مــن ثمار هــذه الهدية؛ أن ولــدت مارية للنبــي ﷺ ابنه إبراهيم، وهذه الهديــة كان لها أثرها لأهل مصر في الخطاب النبوي لأصحابه، فقد بَيَّن النبي ﷺ أن له بمصــر رحمًا، وأوصى أصحابه بالإحسان إلى أهلها عند فتحها، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكــم ســتفتحون مصر، وهــى أرض يســمى فيها القيــراط، فإذا

فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا، أو قال ذمة وصهراً»[١].

قال النووي: «وأما الذمة فهي الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم»[٢].

وقد كان هذا منهجه ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ «يقبل الهدية ويثيب عليها»[٣].

وقد قبل النبي ﷺ الهدية من غير المقوقس أيضاً، وفي كتب السنة أمثلة كثيرة لمن أراد الاستزادة، كما قبل هدية سلمان لا صدقته.

وقد أهدى هو ﷺ لأصحابه، ولغيرهم، «ومن فضل الهدية مع إتباع السنة: أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس، ولقد أحسن من قال:

هدايا الناس بعضهم لبعض   تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودأ   وتكسبهم إذا حضروا جمالا

وقال آخر:

إن الهدايا لها حظ إذا وردت   أحظى من الابن عند الوالد الحدب[٤]

---

(١) رواه مسلم
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٦/ص٩٧
(٣) رواه البخاري
(٤) تفسير القرطبي (١٣/١٩٩).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تهادوا فإن الهدية تذهب وغر الصدر»[١].

بل وحث فيها ولو قلت، أو ظن عدم نفعها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[٢].

وبوب عليه النووي باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره.

كما كره رد هدية الطيب، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من عرض عليه ريحان فلا يرده؛ فإنه خفيف المحمل طيب الريح»[٣].

وفي رواية ابن حبان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «من عرض عليه طيب فلا يرده؛ فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة»[٤].

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم. والفرسن هو الظلف وهو مثل القدم في الإنسان قاله النووي في شرح مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) ورواه أبو داود والنسائي فائدة: قال الحافظ في فتح الباري (٥/٢٠٩) « وأخرجه مسلم من هذا الوجه لكن قال ريحان بدل طيب ورواية الجماعة أثبت فإن أحمد وسبعة أنفس معه رووه عن عبدالله بن يزيد المقبري عن سعيد بن أبي أيوب بلفظ الطيب ووافقه بن وهب عن سعيد عند بن حبان والعدد الكثير أولى بالحفظ من الواحد وقد قال الترمذي عقب حديث أنس وابن عمر وفي الباب عن أبي هريرة فأشار إلى هذا الحديث».

إن الهدية ليست بقدرها وقيمتها، وإنما بقيمة مهديها، ألا ترى معي أن من أهداك شيئاً فقد اختصك به من بين أناس كثيرين يعرفهم، وهذا في حد ذاته أمر عظيم يدل على مكانتك عنده، فيزيد التفكير في مثل هذا زيادة محبتك له، واحترامك إياه.

ولذلك ترجم ابن حبان في صحيحه: ذكر البيان بأن المرء وإن كان خيراً فاضلاً إذا أهدي إليه شيء وإن كان قليلاً عليه قبوله والإفضال منه على غيره دون الازدراء بالشيء اليسير والتأمل للشيء الكثير.

عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب فأتي بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه، وأرسل به إلى أبي أيوب فلم يأكل منه أبو أيوب؛ إذ لم ير فيه أثر النبي ﷺ ثم أتاه فسأله عنه، فقال: يا رسول الله، أحرام هو؟ قال: لا، ولكن كرهته من أجل الريح. فقال: إني أكره ما كرهت(١).

إن الذي يهديك شيئاً هو أحد شخصين:

إما محب لك ولشيء فيك، وفي شخصيتك: كظرافتك، أو شجاعتك، أو غيرهما.

وإما طالب مصلحة منك، فإما أن يدفع بذلك شرك عنه: سواء كان واقعاً، أو متوقعاً.

وإما أن يجلب من ورائك خيراً: إما منك مباشرة، أو من غيرك؛

---

(١) رواه ابن حبان (٥١٠/١١).

لكن عن طريقك ببذل وساطتك ووجاهتك، وفي كل هذه الأمور فالهدية خير، إما للمهدي، أو للمهدى إليه، أو لهما معا.

وإياك إذا أهديت هدية أن تتذكرها أو تذكرها للمهدى له، فليس هذا من كريم الطباع، قال الشاعر:

وإن امرأ أهدى إلي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم

حاول أن تهدي في مقابل إسداء معروف غير ظاهر، وهو من باب شكر النعمة، وشكر صنيع المعروف، إما في مقابلتها، أو المكافأة المباشرة عليها، كما أهدى الشافعي طبق تمر لرجل بلغه أنه اغتابه. لأن من اغتابك أو أساء إليك بغير وجه حق فإنما يصنع لك معروفاً بإرساله حسناته إليك.

لا يشترط أن تهدي من هو في حاجة أو فقر أو أقل منك منزلة بل أهدي جميع الخلق ولو غنياً فالهدية بسمة لا تعرف الحجب ولا تؤثر فيها المقامات والألقاب.

يكفيك في الهدية أن تظهر بها المحبة للآخر، وإن كان الإنسان أحياناً قد يدفع عدوه بالكلام الطيب ظاهراً، لكن لا تجد أو يندر أن تجد من يعطي الآخر هدية وهو لا يحبه، أولا يريد له الخير.

ومما ذكره صاحب المستطرف في هذا الأمر.

وفي الأثر الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر.

ومن الأمثال إذا قدمت من سفر فأهد أهلك ولو حجر.



وقال الفضل بن سهل: ما استرضي الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سلبت السخائم، ولا دفعت المغارم، ولا استميل المحبوب، ولا توقى المحذور، بمثل الهدية.

ويقال: في نشر المهاداة طي المعاداة.

وأهدى ملك الروم إلى المأمون هدية، فقال المأمون: اهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة، ليعلم عز الإسلام، ونعمة الله تعالى علينا، ففعلوا ذلك، فلما عزموا على حملها، قال: ما أعز الأشياء عندهم؟ قالوا: المسك والسمور، قال: وكم في الهدية من ذلك؟ قالوا: مائتا رطل مسكاً ومائتا فروة سمور»[1].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ ابدأ بالأقل وهو إهداء الأمور الصغيرة التي تقدر عليها.

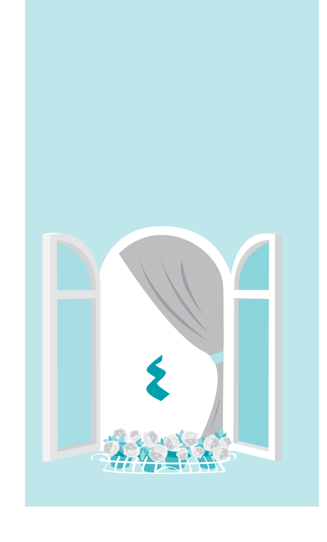
٢ ـ ابدأ بالهدية مع أهل بيتك وأقاربك كدورة تدريبية ثم تتعود عليها فتخرج بها إلى الناس.

٣ ـ تذكر جيداً أن الهدية باب للمحبة « تهادوا تحابوا» كما في الحديث.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(أعطي الهدية تلقى التحية وتفتح القلوب العصية)

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (٢/١١٩ ـ ١٢٠). والسمور بفتح السين وبالميم المشددة المضمومة حيوان بري له فراء ناعم لين يشبه السنور.



حسن الخلق

حسن الخلق من الإسلام، بل هو من أساسيات البعثة المحمدية، فعن أبي هريرة قال: قال رســول الله ﷺ : «**إنمــا بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيــح، ورواه البزار، إلا أنه قال: «لأتمم مكارم الأخلاق » ورجاله كذلك، غير محمد بن رزق الله الكلوداني وهو ثقة[١].

وأعظم من ذلك أنه من أعظم المدائح التي امتدح رب العزة جل جلاله بهــا نبيــه ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فــإذا كان هذا المدح في ســيد الخلق؛ فأعظــم بمن اقتدى به، وســار على دربه، وتخلق بأخلاقه.

وميزان الاقتداء بــه، والتخلق بأخلاقه، يقــوم على معرفة ميزان خلقه ﷺ وهذا الميزان قد بينته أم المؤمنين عائشــة، فعن ســعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رســول الله ﷺ؟ قالــت: «كان خلقه القــرآن، أما تقرأ القــرآن؟ قول

---

(١) مجمع الزوائد(٩/١٥).

الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قلت: فإني أريد أن أتبتل، قالت: لا تفعل أما تقرأ « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » فقد تزوج رسول الله ﷺ وقد ولد له»(١).

وعند مسلم من حديث عائشة كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه(٢).

قال عمرو بن معدي كرب:

لَيس الجَمالُ بِمِئزَرٍ فاعلم وإن رُدِّيتَ بُردا
إِنَّ الجَمالَ مَعادِنٌ وَمَناقِبٌ أَورَثنَ مَجدا

إن حسن الخلق من أعظم العطايا عن أسامة بن شريك قال: كنت عند رسول الله ﷺ فجاءته الأعراب من كل مكان، فقالوا: يا رسول الله، ما خير ما أعطي الإنسان أو المسلم؟ قال: «حسن الخلق»(٣).

بل قد جعله النبي ﷺ من موازين الخيرية، فعن أبي هريرة قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»(٤).

---

(١) رواه أحمد.
(٢) فتح الباري (٥٧٥/٦).
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

قال أحمد شوقي:

وَإِنَّما الأُمَمُ الأَخــلاقُ ما بَقِيَت   فَإِن تَوَلَّت مَضَــوا في إِثرِها قُدُما

كما أن النبي ﷺ قد جعل الأخلاق مع التدين ميزان على الرضا والقبول، فعن أبي هريرة قال: قال رســـول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينــه وخلقه فزوجوه؛ إلا تفعلوا تكــن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1].

فــإذا لم يــزوج النــاس ويرغبوا فــي صاحب الخلــق والدين؛ فســيرغب الناس عن التدين والأخــلاق، وتنتكس الفطر، ويفســد المجتمع، كما أن صاحب الخلق والديــن يحافظ على المرأة، وهي بدورها تحافظ على البيت، والأســرة المسلمة، فيعيش المجتمع في سعادة، وراحة بال، واطمئنان، بإذن الله تعالى.

أضيء شمعة لترى ما ســيكون عليه الأمر إذا كنت صاحب خلق حسن ســيتمنى أهل الأرض بقائك فيها وســيعم الحزن عند فراقك عنها وهذا ما يحدث دائماً مع أصحاب الأخلاق الحسنة.

ولأجل هذا جعل النبي ﷺ جائزة عظيمــة لأصحاب الأخلاق، وهي القرب منه، وليس قرب محبة فقط، بل وقرب مجلس ومكان، في وقتٍ السعيد من وفقه الله للقرب من سيد الخلق، فعن جابر أن رســول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلســاً يوم

---

(١) رواه الترمذي.

القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون»(١).

ومن أعظم الأخلاق التي ينبغي الاتصاف بها، والمحافظة عليها، ونشرها، وهي من أعظم النوافذ التي تدخلك إلى القلوب: الصدق، والأمانة، والحياء، والتواضع، والكرم، والشجاعة، والعدل، والإنصاف، والرفق، والزهد.

وهاهنا خلق عظيم، وهو مفتاح التسديد والخيرية؛ إنه الرفق فقد قال ﷺ: لعائشة «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»(٢).

وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»(٣) وذلك « لأن به تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنافر، وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات، جامع للطاعات»(٤).

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق،

---

(١) رواه الترمذي وروى نحوه أحمد من حديث عبد بن عمرو وإسناده جيد.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) فيض القدير (٤٦١/٥).

ويعطي علــى الرفق ما لا يعطي علــى العنف، ومــا لا يعطي على ما سواه»(١).

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير» قال أبو عيسى وفي الباب: عن عائشة، وجرير بن عبد الله، وأبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح(٢).

ومعنى هذا أن «من أعطي حظه من الرفق ـ أي نصيبه منه ـ فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير كله، إذ به تنال المطالب الأخروية، والدنيوية، وبفوته يفوتان؛ ولهذا قال نسطور: لما بعث صاحبيه ليدعوا الملك إلى دين عيسى، وأمرهما بالرفق فخالفا، وأغلظا عليه، فحبســهما وآذاهما، فقال لهما نســطور: مثلكما كالمرأة التي لــم تلد قط، فولــدت بعدما كبرت، فأحبت أن تعجل شــبابه ـ أي تكبر الولد ـ لتنتفع به، فحملت على معدته ما لا يطيق ـ أي من كثرة الأطعمة ـ فقتلته»(٣).

قال أبو الفتح البستي:

ورافِقِ الرِّفْقَ في كُلِّ الأمورِ فلَمْ   ينـــدّمْ رَفيقٌ ولم يذمُمْهُ إنســانُ

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أحمد والترمذي.
(٣) فيض القدير (٧٥/٦) بتصرف يسير.

ولا يَغُـرُّكَ حَـظٌّ جَـرَّهُ خرقٌ فالخُرْقُ هَدمٌ ورِفقُ المَرءِ بُنْيانُ

وعن جرير عن النبي ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»[1].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ تذكر الخطوات الثلاث المذكورة في المقدمة.

٢ ـ درب نفسك على التخلق بأحسن الأخلاق والابتعاد عن السيئ منها فإنما الحلم بالتحلم.

٣ ـ تذكر دائماً فضيلة الخلق وأنها مصدر الثناء على صاحبها في حياته وبعد مماته فهي الرصيد الباقي في دنيا الناس، عند ذلك ستحرص عليها.

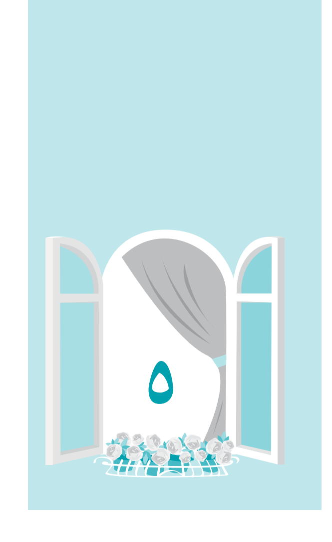
٤ ـ ابدأ بتطبيق أخلاقك الحسنة على أهل بيتك وأقربائك لأن النفس تميل إليهم فطرة ثم عممها في الآخرين.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(أحاسنكم أخلاقاً، أفتحكم قلوباً)

---

(١) رواه مسلم.



الإحسان إلى الناس

بل الإحسان إلى الخلق عامة، مدخل إلى قلوب الآخرين!!! فكم من الناس من أهل الرحمة، والأحاسيس المرهفة، والتعامل الجميل الراقي مــع الناس، والحيوانــات، والنبات، وغيرهــا، إذا رأى منك حســن تعامل مع هذه الأشــياء، مال إليك، وأنس بك، ورغب في صحبتك، ومجالستك، وكَنَّ لك كل ود واحترام، وما ذلك؛ إلا لأن الجنس يألف بمثله، والطيور إلى أمثالها تهفو، وعلى أشكالها تقع، والطباع تأنس بأمثالها.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة!!!! ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية كاد يقتلــه العطش، إذ رأته بغي مــن بغايا بني إســرائيل، فنزعت موقها فسقته؛ فغفر لها به»[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومســلم. عمدة القاري(٥٤/١٦) موقها بضم الميم وســكون الواو وفي آخره قاف قال بعضهم هو الخف قلت لا بل الموق هو الذي يلبس فوق الخف ويقال له الجرموق أيضاً وهو فارسي معرب.

قال أبو الفتح البستي:

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ   فطالَما استبَعدَ الإنســانَ إحسانُ

عن أبي هريــرة رضي الله عنه أن أعرابيّاً دخل المســجد فصلى، فلما فرغ قــال: اللهم ارحمنــي ومحمداً ولا ترحــم معنا أحــداِ، فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لقد تحجرت واسعاً» فلم يلبث أن بال في المسجد، فعجل النــاس إليه، فنهاهم، وقال: أهريقوا عليه ذنوباً أو ســجلاً من ماء ـ يعني بوله ـ وقال: إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»[1].

بل إن الله سبحانه وتعالى قد رســخ هذا المبدأ في العقــول والنفوس؛ لذلك جعل من مقتضيات اســتحقاقه للعبادة دون غيره، إحسانه إلى خلقه، برزقه لهم، وغير ذلك من أنواع البر والإحســان ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبــوت: ١٧] ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ * ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريــش: ٣، ٤] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

قال أبو الفتح البستي:

مَنْ كانَ للخَيــرِ مَنّاعاً فليسَ لَهُ   على الحَقِيقَةِ إخــوانٌ وأخْدانُ
مَنْ جادَ بالمالِ مالَ النَّاسُ قاطِبَةٌ   إلَيــهِ والمــالُ للإنســان فَتّان

---

(١) رواه الشافعي في المسند وابن الجارود وأصله في البخاري.

وقال:

أحسِـــنْ إذا كانَ إمكانٌ ومَقدِرةٌ فلن يَدومَ على الإنســانِ إمكانُ
والرَّوضُ يَزدانُ بالنُّــوَّارِ فاغِمةً والحُرُّ بالأصلِ والإحسانِ يَزْدانُ

ولا بــد أن يعلم أن الإحســان ليس كلامــاً يقــال، ولا اعتقاداً بالقلــب، بمقدار ما هــو أفعال تترجم عن حســن معــدن صاحبه. ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

إن الإحسان يكون: ببذل الوجاهات، والشفاعات، والنصح للغير، وخاصة لمن يقدم على شــيء لا يعرفه على حقيقتــه، وأنت تعرفه، كما يكون بحمل أمتعة الناس، وفي توصيلهم بالســيارة إذا قدرت، وفــي إماطة الأذى عن طريــق الناس، وفي كفِّ لســانك ويدك عن المسلمين إلا بحق، والعفو أحسن.

قال ابن الوردي:

أحســنْ إلــى النــاسِ وإلا فلا تعتــبْ علــى النــاسِ إذا قالوا
إذا حرمْــتَ الناسَ مالــوا فما يردُّهــمْ جــاهٌ ولا مــالُ

تخيل وأنت تحسن إلى الناس في كل أمر تقدر عليه كيف يكون مقامك عند ربك وعند الناس وعند نفسك، إن الإحسان إلى الخلق صناعة العظماء الأولى.

عن أبي هشام قال: «مرت جارية معها سلة فيها رطب، بمندل بن

علي العنزي وأصحاب الحديث حوله، فوقفت تنظر وتسمع، فنظر إليها مندل؛ فظن أن السلة قد أهديت له، فقال: قدميها، قدميها، وقال: لمن حوله، كلوا، فأكلوا ما فيها، وانصرفت الجارية إلى سيدها وقد احتبست، فقال لها: ما أسرع ما جئت؟ فقالت: وقفت اسمع من هذا الشيخ، فقال: قدمي السلة ففعلت، فأكل الذين حوله ما فيها، وكان سيدها رجلاً من العرب، فقال لها: أنت حرة»(١).

«وقال عبدالرزاق: سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماءاً ليتوضأ، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله يقول: «والكاظمين الغيظ» فقال: قد كظمت غيظي، قالت: «والعافين عن الناس» فقال: عفا الله عنك، فقالت: «والله يحب المحسنين» قال: أنت حرة لوجه الله تعالى»(٢).

وقد قيل: «فطرت النفوس ـ أو ـ جبلت النفوس على محبة من أحسن إليها».

وأعظم الإحسان ما كان عن ابتداء دون سابق نعمة، أو معروف تشكره، أو ترد عليه، وما كان للجميع دون تمييز ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٩ ـ ٢١].

عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة: لأبي بكر، أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت؛ أعتقت

(١) تاريخ بغداد (١٣/٢٤٧).

(٢) البداية والنهاية (٩/١٠٧).

رجالاً جلدا يمنعونك، ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد!!! لما نزلت هذه الآيات فيه، « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » إلى قوله ﷻ: «وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[1].

ولذلك كان ميزان الصادقين في الإحسان، إلى بني الإنسان، ابتغاء ما عند الرحمن، للفوز بالرضوان، ودخول الجنان، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

ولما علم الله تعالى ذلك منهم، أباح لهم ذلك حتى مع الكفار، ممن يجوز له الإحسان، ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

قال ابن كثير: «أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، ولم يظاهروا؛ أي يعاونوا على إخراجكم، كالنساء والضعفة منهم، أن تبروهم؛ أي تحسنوا إليهم، وتقسطوا إليهم؛ أي تعدلوا، إن الله يحب المقسطين. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش، إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي

---

(١) رواه الحاكم.

راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم صلي أمك» أخرجاه. وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قدمت قتيلة، على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا: صناب، وأقط، وسمن، وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها، وأن تدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ إلى آخر الآية، فأمرها أن تقبل هديتها، وأن تدخلها بيتها، وهكذا رواه بن جرير وبن أبي حاتم»[1].

أظن أنك توافقني الرأي أن الإحسان إلى الخلق نعمة عظيمة من الله على صاحبها؛ لأن الإحسان إلى الخلق على الحقيقة بالأساس هو من فعل الله مع عباده وكون الله يقيمك في هذا المقام يعني أنه يريد بك الخير إما في الدنيا بالثناء والذكر الحسن أو فيها وفي الآخرة بالرضوان ودخول الجنان.

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ انظر الخطوات الثلاث في المقدمة.

٢ ـ أبواب الإحسان كثيرة ومتنوعة وليس هناك باب لا تقدر عليه إلا وهناك آخر في إمكانك القيام به، فحاول طرق الأبواب التي تحسنها وستجد النتيجة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٥٠).

٣ ـ تذكر أن الله يحســـن إلى عباده وهناك الكثيــر منهم بل أكثرهم يســـيئون إليه ورغم هذا لا يقطع إحســـانه عنهـــم، فتخلق بهذا الفعل، تجد عون الله لك في أمورك.

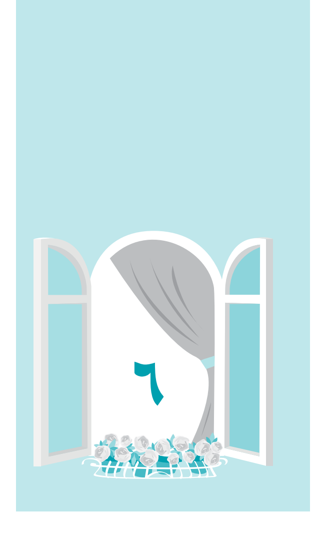
٤ ـ وزع إحســـانك على جميع الخلق وابدأ بالأضعف والأقل منك شأناً لأن النفس تقبله وتقبل عليه ثم ترقى إلى الأعلى.

لتكن الحكمة التي تســـتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم وتكسب ثنائهم)

أو

(ابذل الإحسان تلقى الامتنان والمحبة والحنان)



الزهد
فيما في أيدي الناس

إنه باب الرضا عن الله تعالى وقضائه، ومفتاح كنز القناعة، ودلالة عفة النفس، وهمة الروح وسموها، قال الشافعي:

أَنا إِن عِشتُ لَستُ أَعدَمُ قوتاً ... وَإِذا مُتُّ لَستُ أَعدَمُ قَبرا
هِمَّتي هِمَّةُ المُلوكِ وَنَفسي ... نَفسُ حُرٍّ تَرى المَذَلَّةَ كُفرا
وَإِذا ما قَنِعتُ بِالقوتِ عُمري ... فَلِماذا أَزورُ زَيداً وَعَمرا

إن الزهد فيما أيدي الناس مفتاح محبتهم لك، وتمكنك من قلوبهم، فلا تفرط في هذا المفتاح بالحرص على حطام فان، وظل زائل، عن سهل بن سعد الساعدي قال أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل، إذا أنا عملته: أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[1].

لا تطلب من الناس ما هم حريصون عليه، جامعون مانعون له،

(١) رواه ابن ماجه وغيره، وقد حسنه جماعة، وضعفه آخرون.

لأنهم يروا أنك تنافسهم فيه؛ فيبغضوك، ولا يرغبون فيك، ولا في صحبتك.

تأمل معي شخص راغب فيما في أيدي الناس فليس أمامه لنيل ذلك إلا طريقان وكلاهما على خطر: فإما أن يأخذه عنوة وهذا ظلم وفساد ونهايته العقوبة والذم. وإما طلبه منهم وفيه إذلالاً للنفس غالباً وربما قوبل بالغضب والرفض وفيه إهانة للسائل والمسئول فأرح نفسك واترك ما مع الناس لهم واطلب ما تريد من الله وحده فبيده خزائن كل شيء.

قال أبو سليمان الخطابي: أنشدني الخزيمي:

لا تسألن بني آدم حاجة   وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسأل يغضب

قال ابن القيم: «فسؤال المخلوق للمخلوق، سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته كرمت عليه، ورضي عنك، وأحبك، والمخلوق كلما سألته: هنت عليه، وأبغضك، ومقتك، وقلاك»[١].

كم من شخص صادقته، ولاطفك ولاطفته، فلما سألته شيئاً تغير منك، وتغيرت معاملته.

ليس كل الناس يُسأل، ولا كل الناس يَسأل.

---

(١) مدارج السالكين ج٢/ص١٣١

قال سلم الخاسر:

إذا أذن الله في حاجة ... أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم ... ولكن سل الله من فضله

قال محمود الوراق:

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا ... من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ... يا ذا الضراعة طالباً من طالب

قال الإمام الشافعي:

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم ... سوى من غدا والبخل ملء إهابه
فجردت من غمد القناعة صارماً ... قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفاً في طريقه ... ولا ذا يراني قاعداً عند بابه
غني بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغنى إلا عن الشيء لا به

قال آخر:

لا تسألن إلى صديق حاجة ... فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشيء القليل فإنه ... ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه ... وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت ما في كفه ... ومتى علقت به فأنت ثقيل

عن عوف بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ سبعة، أو ثمانية، أو تسعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟ وكنا حديث عهد ببيعة،

قلنا: قد بايعناك، حتى قالها: ثلاثاً، فبسطنا أيدينا فبايعناه، فقال قائل: يا رسول الله، إنا قد بايعناك فعلام نبايعك، قال: أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وتصلوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا، وأسر كلمة خفية، قال: ولا تسألوا الناس شيئاً، قال: فلقد كان بعض أولئك النفر، يسقط سوطه، فما يسأل أحدا أن يناوله إياه»[١].

بل وأعلى من الزهد عما في أيديهم، أن تبذل ما في يدك لهم، فإن هذا غاية الكرم، والزهد عما في أيدي الناس، لأن الباذل لهم مستغنٍ عما معهم غالباً.

ينبغي للمرء، والعالم خاصة، أن يقطع نفسه من شيئين: من ثناء الناس ومدحهم، ومن عطائهم وما في أيديهم، فإذا فعل ذلك سادهم، وقدر على نصحهم، وإرشادهم، ولم يكن لأحدهم عليه منة تمنعه من نصحه، ولا يكون للحياء منهم مدخل لغناه عنهم. عند ذلك يقيم العدل وينشر الحق.

قال أحمد بن الجلاء: «من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد».

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ جاهد نفسك على عدم سؤال الناس شيئاً وأفضل طريقة أن تبدأ من بيتك فكلما أردت شيئاً فلتكن همتك أن تعمله بنفسك دون

(١) رواه أبو داود وابن ماجه

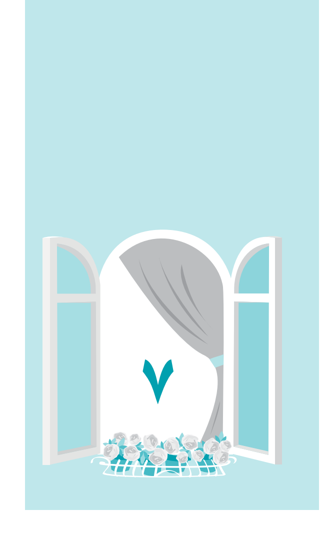
الطلب مــن الزوجة والأولاد أو نحوهم حتــى تعتاد على ذلك فيصبح لك سجية.

٢ ـ تذكر أنك إن سألت الناس ما في أيديهم فإما أن يقبلوا إعطائك أو يرفضــوا فإن أعطــوك ملكــوك وإن رفضوا أهانــوك. وكلا الحالتين لا ينبغي لعاقل أن يضع نفسه فيهما.

٣ ـ اقنع بمــا عنــدك لأن القناعة كنز وســترى أن ما مــع الناس لا يساوي شــيئاً لأنه ما من إنسان عنده شــيء إلا وعند غيره ما هو أحسن منه. وإن لم تقنع اتعبت نفسك.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(ازهد فيما عندي تدخل إلى قلبي)



التواضع ولين الجانب

وهذا خاص من بين الأخلاق لشـــدة أهميته، فهـــو باب الرفعة، والســـؤدد عند الله تعالى، وعند الخلق، ولقد كان هذا خلق النبي ﷺ الذي كسب به قلوب أصحابه، بل والعالمين، ممن عرفوا أخلاقه أو درسوا أوسمعوا عن ســـيرته، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

عن عياض بن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»[١].

أظن أننا متفقان بأن المتواضع يرغم المتعامل معه على احترامه لأنه لا يراه متعالياً عليه بل يـــرى قمة الجمال في تواضعه معه حتى أنك لا تقدر على منع نفسك من التواضع له مقابلة لفعله، فالتواضع سر كالمغناطيس يجذب الأشياء إليه.

---

(١) رواه مسلم.

قال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر تبصر وجهه   على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه   إلى صفحات الجو وهو وضيع

قال ابن المقرب العيوني:

وَمَيلي إِلى أَهلِ التَواضُعِ وَالعُلى   بِوُدّي وَبُغضي الأَسفَلَ المُتَعالي

قال أبو العتاهية:

فَكَفى بِمُلتَمِسِ التَواضُعِ رِفعَةً   وَكَفى بِمُلتَمِسِ العُلُوِّ سِفالا

قال أحمد الكيواني:

كُن بِالتَواضع لِلوَرى مُتحبباً   إِن التَواضع جالب التَفخيم

عن أبى سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة، حتى يجعله في أعلى عليين، ومن يتكبر على الله درجة، يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل السافلين»[١].

معناه «من تواضع لله، أي لأجل عظمة الله، تواضعاً حقيقيّاً، وهو كما قال ابن عطاء الله: ما كان ناشئاً عن شهود عظمة الحق، وتجلي صفته. فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة في النفس واقتدار ليس بتواضع حقيقي، بل هو بالتكبر أشبه، رفعه الله؛ لأن من أذل نفسه لله فقد بذل نفسه لله، فيجازيه الله بأحسن ما عمل. وقيل: التواضع لله، أن

(١) رواه أحمد وابن حبان.

يضع نفسه حيث وضعها الله، من العجز، وذل العبودية، تحت أوامره سبحانه بالامتثال، وزواجره بالانزجار، وأحكامه بالتسليم للأقدار، ليكون عبداً في كل حال، فيرفعه بين الخلائق، وإن تعدى طوره، وتجاوز حده، وتكبر، وضعه بين الخلائق. وقال الطيبي: في التواضع، مصلحة الدارين؛ فلو استعمله الناس في الدنيا زالت من بينهم الشحناء، واستراحوا من نصب المباهاة والمفاخرة»[١].

عن أبي عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون بن إبراهيم، وسأله رجل، من أراد التواضع كيف السبيل إليه؟ فقال له: «افهم ما ألقي إليك ـ رحمك الله ـ من أراد التواضع: فليوجه نفسه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصغر، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته، ومن أشرف التواضع أن لا ينظر العبد إلى نفسه دون الله، ومعنى قول النبي ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله» يقول: من تذلل بالمسكنة والفقر إلى الله، رفعه الله يعني بالانقطاع إليه»[٢].

وعن ذي النون قال: «ثلاثة من أعلام التواضع: تصغير النفس معرفة بالعيب، وتعظيم الناس حرمة للتوحيد، وقبول الحق والنصيحة من كل أحد»[٣].

(١) فيض القدير (٦/١٠٨ ـ ١٠٩).
(٢) شعب الإيمان (٦/٢٩٧).
(٣) شعب الإيمان (٦/٢٩٨).

وعن ابن المبارك قال: «من التواضع: أن تقنع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا؛ حتى تعلمه أنــه ليس لك فضل عليه لدنياك، وأن ترفع نفســك عند من هو فوقك في دنياه؛ حتى تعلمه أنه ليس لدنياه فضل عليك»(١).

وعن عمر قــال: وهو على المنبر» يا أيُّها النــاسُ تواضَعُوا، فإنِّي سمعت رسول الله يقول: «من تواضَع للهِ رَفَعهُ اللهُ، فهو في نفسه صغيرٌ وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبَّــر وضعه الله، فهو في أعينِ الناس صغير وفي نفسه كبير، حتى لهوَ أهونُ عليهم من كلبٍ أو خنزيرٍ»(٢).

ما نحذره في التواضــع للخلق أن يكون عن ذلــة وخنوع وقهر وليس هذا حال العظماء لأنه دون وهم لا يرضون بالدون، إنما نحن نتواضع لله ونُعمل هذا التواضع في عباد الله وأحسن التواضع وأعلاه ما كان عن قوة وقدرة وغلبة.

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ تذكر الثلاث الخطوات في المقدمة.

٢ ـ تذكر أن التواضع ضد التكبر والكبرياء لله ومن نازعه فيه عذبه وأنت لا تقدر على عذابه فتواضع لله ليرفعك.

---

(١) شعب الإيمان (٢٩٨/٦).

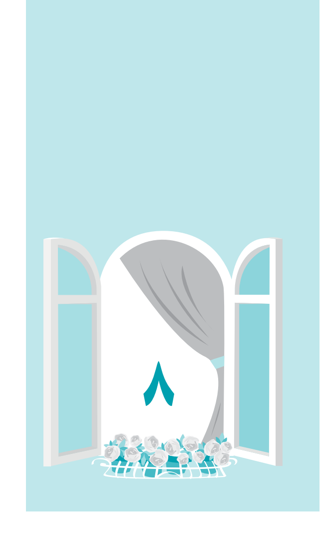
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان وغيره وفيه ضعف بهذا اللفظ.

٣ ـ لقد ضمن للمتواضع لله أن يرفعه الله عنده وعند عباده، فالتواضع ملك بلا سلطان وغنى بلا مال فتواضع لتتوج ملكاً.

٤ ـ لا يأتي التواضع إلا من خلال المجاهدة والممارسة المستمرة حتى تكون كالبساط يطأه كل بر وفاجر.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من تواضع رفع وفي القلوب وضع)



حسن المعاملة

وهي أعم من الإحسان إلى الآخرين، وكذلك من حسن الخلق؛ وإن كانت نابعة منه، فتحسين معاملتك مع الناس تكسبك إياهم، بل وتكسبك غيرك ممن يقوم بها، فكم من شخص أحببته لما سمعت عن حسن معاملته مع الناس، حتى ولو لم تره.

ولذلك قالوا: «الدين المعاملة».

أي أن المعاملة الحسنة هي التي تدخل الناس في الدين، وتكسبك قلوبهم، لأنها عنوان على حسن تدينك غالباً، فحسن معاملتك تظهر حسن دينك، وهذا مدخل لدخول الناس في الدين.

عن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيراً، حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»[1].

(١) رواه مسلم.

وحســـن هذه المعاملة منه ﷺ وعطائه هذا العطاء لغير المسلمين يبين أن « الكفار ضربان: أحدهما: من يرجى إسلامه، فيعطى لتقوى نيته في الإســـلام، وتميل نفسه إليه فيســـلم، فإن النبي ﷺ يوم فتح مكة أعطى صفوان بن أمية الأمان، واســـتنظره صفوان أربعة أشـــهر لينظر في أمره، وخرج معه إلى حنين، فلما أعطى النبي ﷺ العطايا، قال صفوان: ما لي؟ فأومأ النبي ﷺ إلـــى واد فيه إبل محملة، فقال: هذا لـــك، فقال صفوان: إن هـــذا عطاء من لا يخشـــى الفقر»[١] وقد كان ﷺ يتألفهم بهذه المعاملة الحسنة حتى يدخلوا في الدين.

عن عمرو بن شـــعيب عن أبيـــه عن عبد الله بن عمـــرو قال: قال رسول الله ﷺ: «دخل رجل الجنة بسماحته، قاضياً ومتقاضياً»[٢].

أي أنه إذا اشـــترى كان ســـمحاً في قضائه للمـــال، وإذا باع كان سمحاً في تقاضيه للمال.

وعن أبـــي هريرة رضي الله عنه أن رســـول الله ﷺ قـــال: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى مُعْسِراً، قال: لفتيانه تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»[٣].

وفي صحيح ابن حبان « ذكر رجاء الغفـــران لمن نحى الأذى عن طريق المســـلمين» عن أبي هريرة أن رســـول الله ﷺ قال: «بينما رجل

(١) المغني (٦/٣٢٨).
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له، فغفر له «قال أبو حاتم: الله جل وعلا أجل من أن يشكر عبيده؛ إذ هو البادئ بالإحسان إليهم، والمتفضل بإتمامها عليهم، ولكن رضا الله جل وعلا بعمل العبد عنه، يكون شكراً من الله جل وعلا على ذلك الفعل.

وترجم أيضاً «ذكر رجاء مغفرة الله جل وعلا لمن نحى الأذى عن طريق المسلمين «عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له، فغفر له».

وترجم أيضاً «ذكر البيان بأن هذا الرجل الذي نحى غصن الشوك عن الطريق لم يعمل خيراً غيره» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير إلا غصن شوك كان على الطريق، كان يؤذي الناس فعزله، فغفر له».

ثم ترجم «ذكر البيان بأن هذا الرجل غفر له ذنبه ما تقدم وما تأخر لذلك الفعل» عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «غفر لرجل أخذ غصن شوك عن طريق الناس، ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وترجم بعده « ذكر رجاء الغفران لمن أماط الأذى عن الأشجار والحيطان إذا تأذى المسلمون به» عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «نزع رجل لم يعمل خيراً قط غصن شوك عن الطريق، إما كان في شجرة فقطعه فألقاه، وإما كان موضوعاً فأماطه، فشكر الله له بها،

فأدخله الجنة «قال أبو حاتم: معنى قوله: «لم يعمل خيراً قط يريد به سوى الإسلام»[١].

وانظر أنت عندما تسمع عن حســن تعامل رجل مع زوجته، أو أولاده، أو خدمه، كيف تحترمه؟ وتحبه، والعكس بالعكس.

وقد أخبرني أحد مشايخي: بأن من أســباب انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا، تعامل بعض التجار اليمنيين، وحكى قصة طريفة في ذلك « وهو أنه كان هناك تاجران يبيعان القماش بجوار بعضهما، وفي يوم أكثر الناس من التردد على أحدهما، وأكثروا الشــراء منه، دون أن يدخــل إلى محل صاحبــه أحد، وفي منتصــف النهار رفع التاجر الســعر فجأة، فستغرب المشترون!!! فســألوه عن ذلك؟ فرد عليهم قائلاً: إما أن تشتروا مني بالسعر الجديد، أو تشتروا من جاري بالســعر القديم، فســألوه لماذا تفعل ذلك؟ فلم يجبهم، فلما ألحوا عليه، قال: أنتم تشــترون مني من أول النهار، ولم يدخل عند جاري أحد للشراء، وأردت أن أواســيه ليرجع بشيء إلى أهله وأولاده، في هذا اليوم، فرفعت السعر لتذهبوا إليه، وتشتروا منه بالسعر الأرخص، فقالــوا له: ما حملــك على ذلك؟ قــال: هذا من أخلاق الإســلام، فالإسلام يحث على المواســاة، فتعجبوا من فعله!!! وأيقنوا أن هذا دين عظيم، ودين حق، فأسلم كثير منهم، ثم فشا فيهم الإسلام.

---

(١) صحيح ابن حبان (٢/٢٩٤ - ٢٩٧).

عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شريح يخاصمه، قال: فجاء علي حتى جلس إلى جنب شريح، فقال له علي: يا شريح، لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلا معه، ولكنه نصراني، وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم وإياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه، وصغروا بهم كما صغر الله تعالى بهم، من غير أن تطغوا، ثم قال علي: هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، هل من بينة؟ قال: فضحك علي وقال: أصاب شريح، ما لي بينة!! فقضى بها للنصراني، قال: فمشى خطا، ثم رجع، فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش، وأنت منطلق إلى صفين، فخرجت من بعيرك الأورق، فقال: أما إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فرس، فقال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج مع علي يوم النهروان[1].

عن أنس قال: كنت مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ

(١) رواها أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخ دمشق.

الحاشـــية، فأدركه أعرابي، فجبذه من خلفه جبذة!! حتى رأيت صفحة عنقه قد أثر فيه حاشية البرد من شدة جبذته، فقال: يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي ﷺ فضحك وأمر له بعطاء»(١).

إن العظيم يبقــى عظيماً وإن أســيئ إليه مع أنه قــادر على رد الإساءة بمثلها على الأقل وليس عليه في ذلك شيء لكنه من منطلق حســن معاملته لا يقدر على تغييرها لأنها أصبحــت فطرة فيه وإنما يخرج عنها أحياناً لمصلحة راجحة.

عن عبد الله بن ســلام رضي الله عنه، قال: إن الله تبــارك وتعالى، لما أراد هدي زيد بن سعنة قال زيد بن سعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها فــي وجه محمد ﷺ حيــن نظرت إليه، إلا شــيئين: لم أخبرهما منه، هل يسبق حلمه جهله؟ ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت ألطف بــه لئن أخالطه، فاعرف حملــه من جهله، قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، إن بصرى قرية بني فلان قد أســلموا، ودخلوا في الإســلام، وكنت حدثتهم إن أســلموا آتاهم الرزق رغداً، وقد أصابتهم ســنة، وشدة، وقحوط من الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً، كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم

(١) رواه أحمد ومسلم.

به فعلــت، فنظر إلي رجل إلــى جانبه أراه عليّاً فقال: يا رســول الله ما بقي منه شيء، قال زيد بن ســعنة: فدنوت إليه، فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمــراً معلوماً من حائط بني فــلان إلى أجل كذا وكذا، فقــال: لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمــراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا، ولا أســمي حائط بني فــلان، فقلت: نعم فبايعنــي، فأطلقت همياني فأعطيتــه ثمانين مثقالاً من ذهب، في تمــر معلوم إلى أجل كذا وكــذا، فأعطاها الرجل، فقــال: اعدل عليهم وأعنهــم بها، فقال زيد بن ســعنة: فلما كان قبل محــل الأجل بيوميــن أو ثلاثة، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، فقلت له: ألا تقضينــي يا محمد حقي، فو الله ما علمتكــم يا بني عبد المطلب لسيِّئ القضاء مطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر فإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المســتدير، ثــم رماني ببصره، فقال: يا عدو الله، أتقول: لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتصنع به ما أرى، فو الــذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بســيفي رأســك، ورســول الله ﷺ ينظر إلى عمر في ســكون وتؤدة، وتبسم، ثم قال: يا عمر أنا وهو كنــا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحســن الأداء، وتأمره بحســن التباعة، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشــرين صاعاً من تمر، فقلت ما هذه الزيادة يا عمر، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما نقمتك، قلت: أتعرفني يا عمر، قال: لا، من أنت؟

قلت: زيد بن سـعنة، قال: الحبـر، قلت: الحبر، قـال: فما دعاك أن فعلت برسـول الله ﷺ ما فعلت؟ وقلت له ما قلت؟ قلت: له يا عمر، لم يكن لـه من علامـات النبوة شـيء إلا وقـد عرفتـه في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنين لم أخبرهما منه، هل يسبق حلمه جهله؟ ولا تزيده شـدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد اختبرتهما، فأشـهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وأشـهدك أن شـطر مالي ـ فإني أكثرهم مالاً ـ صدقة على أمة محمد ﷺ فقال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم، قلت: أو على بعضهم، فرجع زيد إلى رسـول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به وصدقه، وبايعه وشهد معه مشـاهد كثيرة، ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبـلاً غير مدبر، ورحم الله زيداً » هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

عن عبد الله بن عمرو أنه كان له جار يهودي، وكان إذا ذبح الشاة قال: احملوا إلى جارنا منها، فإني سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

وكان للإمام أبي حنيفة بالكوفة في العراق، جار إسـكافي يعمل كل نهاره، فـإذا جنّ الليل رجـع إلى منزله بلحم وسـمك، فيطبخ

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

اللحم، ويشوي السمك، فإذا دبّ فيه السُكر أنشد:

أضاعوني، وأيُّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسَدَادِ ثَغْرِ

ولا يزال يشرب الخمر، ويُردّد هذا البيت إلى أن يغلبه السكر وينام، وكان الإمام أبو حنيفة يُصلي الليل كله، ويدخل عليه صوت جاره، وإنشاده، فَفَقد صوته في بعض الليالي، فسأل عنه، فقيل له: أخذه العسس منذ ثلاثة أيام، وهو محبوس، فصلّى الإمام الفجر، وركب بغلته، ومشى حتى دخل على الأمير، فاحتفى به الأميرُ، وأجلَسه مكانه، وقال: ما حاجةُ الإمام؟ فقال: لي جارٌ إسكافي أخذه العَسَسُ منذ ثلاثة أيامٍ، فتأمرُ أن يُخلوا سبيله، قال الأمير: اخلوا سبيله، وسبيل من حُبس معه تلك الليلة، فلمّا وصلا إلى الدار، قال له أبو حنيفة: أترانا أضعناك؟ قال: لا والله، بل حَفِظتَ ورَعيتَ، جزاكَ الله خيرًا عن صحبة الجوارِ ورِعايتهِ، ولن أشرب بعد اليوم خمراً، فتاب من يومه ولم يعد إلى ما كان عليه.

ومن أبهى صور حسن التعامل، وأفضلها: حسن معاملة شريكة العمر، وشقيقة الروح، وأنيس الوحدة، وسمير الليالي، ملكة القلب، من خلقها الله ليأنس الرجل بها، وجعل بينهما مودة ورحمة، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي آخر»[1].

---

(١) رواه مسلم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» قال أبو عيسى حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح[١].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[٢].

قال المناوي: «وأنا خيركم لأهلي، فأنا خيركم مطلقاً، وكان أحسن الناس عشرة لهم، حتى إنه كان يرسل بنات الأنصار لعائشة يلعبن معها، وكانت إذا وهبت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه، وإذا شربت شرب من موضع فمها، ويقبلها وهو صائم، وأراها الحبشة وهم يلعبون في المسجد، وهي متكئة على منكبه، وسابقها في السفر مرتين، فسبقها وسبقته، ثم قال: هذه بتلك، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة، وفي الصحيح أن نساءه كن يراجعنه الحديث، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل، ودفعته إحداهن في صدره، فزجرتها أمها، فقال لها: دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك، كذا في الإحياء، وجرى بينه وبين عائشة كلام، حتى أدخل بينهما أبا بكر حكماً، كما في خبر الطبراني، وقالت له عائشة مرة في كلام

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان.

غضبت عنده: وأنــت الذي تزعم أنك نبي الله، فتبســم كما في خبر أبي يعلى وأبي الشيخ عنها»[(١)].

قال ابن كثير: «وقوله تعالى: «وعاشروهن بالمعروف » أي طيبوا أقوالكم لهن، وحســنوا أفعالكم، وهيئاتكم بحســب قدرتكم، كما تحب ذلك منهــا، فافعل أنت بها مثله، كما قــال تعالى: «ولهن مثل الذي عليهــن بالمعروف » وقــال رســول الله ﷺ : «خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي » وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشــرة، دائم البشــر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم ســابقته بعد ما حملت اللحم فســبقني، فقال: هذه بتلك، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشــاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانســهم بذلك، ﷺ وقد قال الله تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»[(٢)].

---

(١) فيض القدير (٤٩٦/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٧/١).



خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ راجع الخطوات المذكورة في المقدمة.

٢ ـ حسن المعاملة ليست شيئاً واحداً وإنما في كل شيء ويقيناً أنك تقدر على القيام ببعض الأشـــياء من كل الأشياء فلا تستصعب الأمر، حاول وستجد النتيجة.

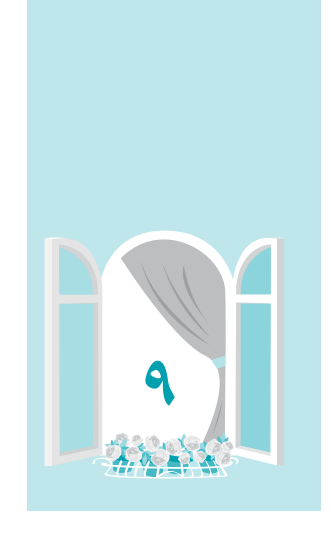
٣ ـ كما تحب أن تعامل فعامل « لو استشعرت هذا المقولة لعملت على تطبيقها لأنك إنما تقدم لنفسك.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(أحسن المعاملة تكسب المجاملة)

أو

(معاملة جميلة محبة أكيدة)



الشجاعة

أجمعت القلوب على الالتفاف حول الشجعان، والكرم والشجاعة متلازمان، ولذلك كان الأنبياء والرسل أشجع الناس؛ لأنهم أكرم الناس، وأنت ترى أن الأمة كانت تجتمع حول العلماء الشجعان، ولا ترى شجاعاً إلا وهو من أكرم الناس، وأزهدهم في الدنيا.

قال المتنبي:

كَأَنَّ نَفسَكَ لا تَرضاكَ صاحِبَها   إِلّا وَأَنتَ عَلى المِفضالِ مِفضالُ
وَلا تَعُدُّكَ صَوّاناً لِمُهجَتِها   إِلّا وَأَنتَ لَها في الرَوعِ بَذّالُ
لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ   الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

قالوا «قطيع من الخراف يقوده أسد أفضل من قطيع من الأسود يقوده خروف» وما ذلك إلا لأن الشجاعة تحدث فارقاً عظيماً في الحياة وأحداثها وعلى القلوب والعقول.

قال ابن الحاج النميري:

وَخَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْجَزِيلِ لِكَاسِبٍ   ثَنَاءٌ عَلَيْهِ لَا يَزَالُ مُخَلَّدَا
وَمَا تُعْرَفُ الأَوْصَافُ فِي شَرَفٍ سِوَى   إِذَا قُسِمَتْ بَيْنَ الشَّجَاعَةِ والندى

اسرح بعقلك في عالم الشجاعة والشـــجعان ستجد أن الشجاعة تكسب صاحبها كل شيء حسن لأنه لا يبال بشيء كما أنها تحلي له الحياة بخلاف الجبـــان فإنه يموت في كل لحظـــة ويرفض عند كل شخص حتى الجبناء أمثاله.

قال أحمد بن مشرف:

ومن يجتمع فيه الشجاعة والندى   أقر لـــه بالفضل من لا يســـالمه

الشـــجاعة هي: الدفاع عـــن الناس، وعن حقوقهـــم، وعن الحق وأهله، وعن القيم والمبادئ، الشـــجاعة في الأحداث، الشجاعة في المواقف، الشجاعة في الحرب، الشجاعة في الحق، والثبات عليه.... وانظر إلى حياة وتاريخ الأنبياء والرسل، العلماء، المصلحين، الدعاة، القادة الصادقين، المدافعين عن حقوق الناس بحق وصدق، تجد أمراً عجباً، وصوراً رائعة مشـــرقة، يفخر بها التاريخ، وتســـطرها صفحاته الناصعـــة البياض، في مداد من نور، على جـــدران القلوب، على مر الأزمنة والأمكنة.

قال أحمد شوقي:

إِنَّ الشَـــجاعَةَ في القُلوبِ كَثيرَةٌ   وَوَجَدتُ شُجعانَ العُقولِ قَليلا

وقال:

رُتَبُ الشَجاعَةِ في الرِجالِ جَلائِلٌ   وَأَجَـــلُّـــهُـــنَّ شَـــجـــاعَـــةُ الآراءِ

لما ورد دمشقَ من مصرَ السلطانُ الملكُ **الظاهر بيبرس** بعد قتال

التتار وإجلائهم عن البلاد، زعم له وكيل بيت المال أن كثيراً من بساتين الشام من أملاك الدولة، فأمر الملك بالحوطة عليها، ـ أي بحجزها ـ وتكليف واضعي اليد على شيءٍ منها إثبات ملكيته، وإبراز وثائقه، فلجأ الناس إلى الإمام النووي في دار الحديث، فكتب إلى الملك كتاباً جاء فيه: «وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواعٌ من الضرر، لا يمكن التعبير عنها، وطُلب منهم إثباتٌ لا يلزمهم، فهذه الحوطة لا تحلّ عند أحد من علماء المسلمين، بل مَن في يده شيء فهو ملكه، لا يحلّ الاعتراض عليه، ولا يُكلّفُ إثباته» فغضب السلطان من هذه الجرأة عليه، وأمر بقطع رواتبه، وعزله عن مناصبه، فقالوا له: إنه ليس للشيخ راتب، وليس له منصب. ولما رأى الشيخ أن الكتاب لم يفِدْ، مشى بنفسه إليه، وقابله، وكلّمه كلاماً شديداً، وأراد السلطان أن يبطشَ به، فصرف اللّهُ قلبَه عن ذلك، وحمى الشيخَ منه، وأبطلَ السلطانُ أمرَ الحوطة وخلّصَ اللّهُ الناس من شرّها.

قال أحمد شوقي:

وَما في الشَجاعَةِ حَتفُ الشُجاعِ وَلا مَدَّ عُمرَ الجَبانِ الجُبُن
وَلَكِن إِذا حانَ حَينُ الفَتى قَضى وَيَعيشُ إِذا لَم يَحِن

قال التاج السبكي: «ذكر كائنة الشيخ ـ أي سلطان العلماء عبدالعزيز بن عبدالسلام ـ مع أمراء الدولة من الأتراك. وهم جماعة

ذكر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك فعظم الخطب عندهم فيه، وأضرم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً، ولا شراءً، ولا نكاحاً، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستشاط غضباً، فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلساً وينادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمار آخر، ومشى خلفهم خارجاً من القاهرة، قاصداً نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد إلا وقد لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبي، ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف، لا سيما العلماء، والصلحاء والتجار، وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك، فركب السلطان بنفسه ولحقه، واسترضاه وطيب قلبه، فرجع واتفقوا معه على أنه ينادى على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يفد فيه، فانزعج النائب وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ؟ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج

ولد الشـيخ أظنه عبداللطيف، فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكترث لذلك، ولا تغير، وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سـبيل الله، ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السـلطنة، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السـيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي خير أيش تعمل؟ قال: أنادي عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تصرف ثمننا، قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه، قال: أنا، فتم له ما أراد، ونـادى على الأمراء واحداً، واحـداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا ما لم يسـمع بمثله عن أحد ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ[١].

من أعظم أنواع الشجاعة، الشجاعة في قول الحق، عن بن عباس قال: قال رسـول الله ﷺ: «سـيد الشـهداء يـوم القيامـة حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فنهاه وأمره فقتله»[٢].

قالوا في الأمثال: الشجاعة صبر ساعة ونظمها ابن علوي الحداد:

فما الشـجاعة غير صبر سـاعة   والفـوز في العقبى لـكل صبار

وما ذلك إلا لأن الشجاعة يحكمها العقل وإلا تحولت إلى طيش وتهور.

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢١٦/٨ - ٢١٧).
(٢) رواه الطبراني وفيه ضعف وله شواهد.

وأعظم الشجعان على الإطلاق هو سيد الخلق ﷺ فعن علي قال: كنا إذا حمي الوطيس، واشتد البأس، واحمرت الحدق، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، وكان أشجعنا من كان أقرب إليه[١].

وبعده في الشجاعة أصحابه والمقتفين لآثارهم عن عمر قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب، وقالوا: نصلي ولا نزكي، فأتيت أبا بكر، فقلت: يا خليفة رسول الله تألف الناس، وارفق بهم، فإنهم بمنزلة الوحش، فقال: رجوت نصرك، وجئتني بخذلانك، جبار في الجاهلية، خوار في الإسلام، ماذا عسيت أن أتألفهم بشعر مفتعل، أو بسحر مفترى، هيهات، هيهات، مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي، وإن منعوني عقالاً، قال عمر: فوجدته في ذلك أمضى مني، وأصرم مني، وأدب الناس على أمور؛ هانت علي كثير من مؤنتهم حين وليتهم[٢].

عن أبي إسحاق قال: قال رجل: للبراء، يا أبا عمارة، أفررتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه، وأخفَّاؤهم حسراً، ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة

(١) سيرة النبي المختار (٤٣٦/١).
(٢) رواه الإسماعيلي، كما في كنز العمال.

لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصر، فرشقوهم رشقاً، ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل فاستنصر، وقال: أنا النبي لا كذب، أنا بن عبد المطلب، ثم صفهم»[١].

ولذلك قالوا: قطيع خراف يقوده أسد، خير من قطيع أسود يقود خروف، لأن الاعتماد في الحروب على الشجعان، ولذلك قال العلماء إن قائداً شجاعاً فاسقاً أفضل من قائد جبان عدل.

دخل جبار الشام إبراهيم باشا بن محمد علي حاكم مصر، المسجد الأموي في وقت كان فيه عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي يلقي درساً في المصلين، ومر إبراهيم باشا من جانب الشيخ، وكان مادّاً رجله فلم يحركها، ولم يبدل جلسته، فاستاء إبراهيم باشا، واغتاظ غيظاً شديداً، وخرج من المسجد، وقد أضمر في نفسه شراً بالشيخ، وما إن وصل قصره، حتى حف به المنافقون من كل جانب، يزينون له الفتك بالشيخ، الذي تحدى جبروته وسلطانه، وما زالوا يؤلبونه حتى أمر بإحضار الشيخ مكبلاً بالسلاسل، وما كاد الجند يتحركون لجلب الشيخ، حتى عاد إبراهيم باشا فغير رأيه، فقد كان يعلم أن أي إساءة للشيخ ستفتح له أبواباً من المشاكل لا قبل له

(١) رواه البخاري ومسلم.

بإغلاقها، وهداه تفكيره إلى طريقة أخرى ينتقم بها من الشيخ، طريقة الإغراء بالمال، فإذا قبله الشيخ فكأنه يضرب عصفورين بحجر واحد، يضمن ولاءه، ويسقط هيبته في نفوس المسلمين، فلا يبقى له تأثير عليهم، وأسرع إبراهيم باشا فأرسل إلى الشيخ ألف ليرة ذهبية، وهو مبلغ يسيل له اللعاب في تلك الأيام، وطلب من وزيره أن يعطي المال للشيخ على مرأى ومسمع من تلامذته، ومريديه، وانطلق الوزير بالمال إلى المسجد، واقترب من الشيخ وهو يلقي درسه، فألقى السلام، وقال للشيخ: بصوت عال سمعه كل من حول الشيخ، هذه ألف ليرة ذهبية يرى مولانا الباشا أن تستعين بها على أمرك، ونظر الشيخ نظرة إشفاق نحو الوزير، وقال له: بهدوء وسكينة، يا بني، عد بنقود سيدك وردها إليه، وقل له: إن الذي يمد رجله، لا يمد يده.

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

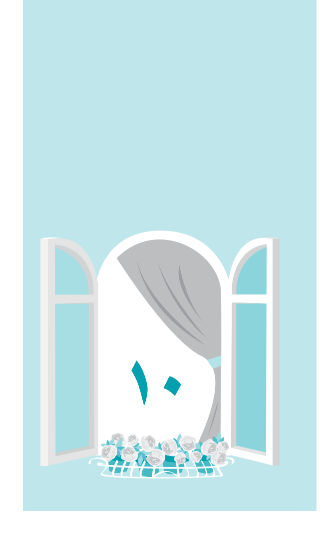
١ ـ إذا واجهك حدث يتطلب الشجاعة فاعمل بالخطوات الثلاث المذكورة في المقدمة.

٢ ـ لا أجد لك طريقة لتلج بها إلى نافذة الشجاعة إلا بتدريب نفسك عليها وذلك من خلال أن توقن بأن الشجاع لا يفوته شيء لأنه كسب نفسه كما أن الموت وهو النتيجة الوحيدة التي لا تعوض لا يحدث فيه فارقاً بين أن تموت شجاعاً أو تموت جباناً فطعم الموت واحد في كلا الحالين. قال المتنبي:

إِذا غامَـــرتَ فـــي شَــرَفٍ مَرومٍ   فَـــلا تَقنَـــع بِمـــا دونَ النُجـــومِ
فَطَعـــمُ المَـــوتِ في أَمـــرٍ صَغيرٍ   كَطَعـــمِ المَـــوتِ في أَمـــرٍ عَظيمِ

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(شجاعتك مغناطيس تجذب به معادن القلوب)



الكلام الطيب

هو سر الجمال، ودلالة رجحان العقل، وعلامة رقة القلب، وكمال الفهم والمعرفة، نابع من رقة الشعور، وصدق الإحساس، وطيب النفس.

إنه منهج إلهي، حث الله ﷻ عليه عباده، وأمرهم به، ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، بل قد أرشدهم إلى ما هو أعلى منه، ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

إنه كلام ليس كباقي الكلام، كلام مفهوم، ومقبول، ومحبوب، وإن لم يكن مرتباً وبليغاً.

وليس المقصود به موافقة المخاطب فيما هو فيه، وإنما القول اللين الحسن، وبالأسلوب الجميل، حتى ولو تضمن إنكار على المخاطب، مهما كان نوعية هذا الإنكار، ولذلك أمر الله تعالى به خير الناس في زمنه، ليخاطب به شر الناس في زمنه ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(١).

قال الحافظ: «وحاصله: من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله، قولاً بالخير، وسكوتاً عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو تركاً لما يضر، وفي معنى الأمر بالصمت عدة أحاديث، منها: حديث أبي موسى، وعبد الله بن عمرو بن العاص «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» وقد تقدما في كتاب الإيمان، وللطبراني عن ابن مسعود قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ فذكر فيها «أن يسلم المسلمون من لسانك» ولأحمد وصححه ابن حبان من حديث البراء رفعه في ذكر أنواع من البر «قال فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير»(٢).

قال الإمام علي:

إِنَّ القَليلَ مِنَ الكَلامِ بِأَهلِهِ   حَسَنٌ وَإِنَّ كَثيرَهُ مَمقوتُ
ما زَلَّ ذو صَمتٍ وَما مِن مُكثِرٍ   إِلّا يَزِلُّ وَما يُعابُ صَموتُ
إِن كانَ يَنطِقُ ناطِقاً مِن فِضَّةٍ   فَالصَمتُ دُرٌّ زانَهُ ياقوتُ

بل لقد عدت الكلمة الطيبة صدقة من الصدقات التي تجزئ عن

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) فتح الباري (١٠/٤٤٦).

زكاة البدن اليومية، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رســول الله ﷺ: «كل ســلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته، فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»[1].

بل لقد أرشدنا إلى اســتعمال الكلام الطيب حتى في الرد على المســيئين، ولو كان فيه معاملتهم بالمثل، لكن مع طيب القول منا، فعن عائشــة ﷺ قالت: كان اليهود يســلمون على النبي ﷺ يقولون: السام عليك، ففطنت عائشة إلى قولهم، فقالت: عليكم السام واللعنة، فقال النبي ﷺ: «مهلاً يا عائشــة، إن الله يحــب الرفق في الأمر كله، فقالت: يا نبي الله أو لم تســمع ما يقولون؟ قال: أو لم تســمعي أني أرد ذلك عليهم؟ فأقول: وعليكم»[2].

إنك بطيب الكلام تدخل إلى القلوب بسلام، فما أسرت القلوب بمثل كلمة طيبة، إنك لتقولها في أحلــك المواقف، فتقلب الموقف لصالحك، وتزيل الشحناء قبل وقوعها، وتطفئ الغضب قبل استعاره، والحقيقة أنك لم تكلف نفسك شيء سوى مجرد كلمات، لكن كان يمكن أن تقول غيرها فتقع في ورطة كبيرة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الحقيقة أن اللسان هو العضو الوحيد من الأعضاء التي تستخدمها بإرادتك، ولا يمكن أن يتعب من كثرة الحركة والتلفظ، ولو استمريت طوال الليل والنهار في الكلام، لكن هناك فرق بين أن تقول خيراً فتغنم، وبين أن تقول شراً فتأثم، أو تقول مباحاً فلا تجني منه شيء سوى أن يقال عنك ثرثار.

قال الجزيزي:

وَاخزِن لِسانَكَ وَاحتَرِس مِن لَفظِهِ ... وَاِحذَر بَوادِرَ غَيِّهِ ثُمَّ اِحذَرِ

قال جرمانوس فرحات:

احذر لسانك إن جلستَ منادماً ... وزنِ الكلامَ فمن يزنْهُ لم يُلَمْ
كم من كلامٍ لا يفيدك كِلْمةً ... ولَكِلْمَةٌ فيها كلامٌ قد يُؤَمْ

قال الإمام الشافعي:

اِحفَظ لِسانَكَ أَيُّها الإِنسانُ ... لا يَلدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعبانُ
كَم في المَقابِرِ مِن قَتيلِ لِسانِهِ ... كانَت تَهابُ لِقاءَهُ الأَقرانُ

بل إن الطيب من الكلام مصاحب للطيب من الناس، والخبيث من الكلام مصاحب للخبيث من الناس، وهذا أحد التفاسير في قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦].

الفرق بين الكلام الطيب وغيره، أن الكلام الطيب هو مما ينفع

الناس وغيره كالزبد، وقد حكم الله تعالى بين هذين الأمرين بحكمه العدل، وقوله الفصل، ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

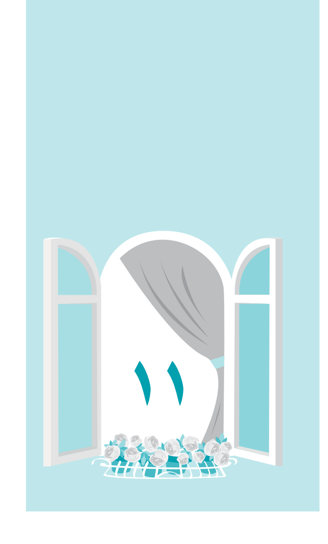
١ ـ راجع الثلاث الخطوات المذكورة في المقدمة.

٢ ـ درب لسانك على التلفظ بالكلام الطيب أولاً مع أقرب الناس إليك زوجتك وأولادك لأن الغالب أن كثيراً من الناس لا يراعي هذا معهم فإن ضبطت نفسك فستقدر بعد ذلك أن تلزم ذلك في الحياة مع الناس لأنها ستصبح لك عادة.

٣ ـ الكلام الطيب له مجالات متعددة للتدرب عليها يكون ذلك في الحكم على الطعام والشراب أو في الحكم على الناس أو في الإخبار عن حالة الطقس والأحداث والمواقف وهكذا فكلها يمكن أن تقول فيها قولاً طيباً ويمكن أن تقول عكسه.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(الكلمة الطيبة تلين العود اليابس)



الدفع بالحسنى

مع الخصم والعدو، فضلاً عن الصديق، والقريب، والمحب، إذا زلوا، أو وقع منهم الخطأ، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصّلت: ٣٤].

وفي هذه الآية تتجلى فوائد وثمار الدفع بالحسنى: بحيث يتحول العدو الذي يهاجمك ويكرهك، ويتمنى لك الشر، إلى صديق ومؤازر، بل موالي بمحبة وحميمية، وهذا هو النصر الكبير، والمكسب العظيم، عندما يتحول العدو إلى حليف، وصديق، وولي، وخاصةً لو كان المسيء هو من الأقارب، أو الأصدقاء، فعندما تقابل سوء خلقه بحسن الخلق، وظلمه بالعفو عنه، وفظاظته بالقول باللين، وهذه من صور الدفع بالحسنى، فلا تجده إلا وقد لام نفسه، وعاتبها، واعترف بخطئه، أو ربما احتقر نفسه على سوء معاملته وجحوده، في ظل مقابلتك له بالإحسان.

قال أبو الفتح البستي:

وإنْ لقِيتَ عدُوّاً فَالْقَهُ أبَداً ... والوَجهُ بالبِشْرِ والإشراقِ غَضّانُ

وقد أمر الله تعالى بالحسنى حتى مع الخصوم في الدين في حال الجدال بين الحق والباطل، إلا في صورة مخصوصة، وهي الظالمين منهم ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٞ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

إن الدفع بالحسنى أحياناً يكون مع اللين في الكلام والبشاشة في الوجه، وذلك لدفع الثقلاء، عن عائشة أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة، فلما جلس، تطلق النبي ﷺ في وجهه، وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل، قالت له عائشة: يا رسول الله!!! حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه، وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة، متى عهدتني فحاشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»[١].

قال أبو عكرمة الضبي:

وإني لأقصي المرء من غير بغضه
وأدني أخا البغضاء مني على عمد
ليحدث ودا بعد بغضاء أو أرى
له مصرعا يردي به الله من يردي

---

(١) رواه البخاري.

ومن أروع صور الدفع بالحسنى أن يعفو المرء عن أعدائه وخصومه مع مقدرته التامة على الانتقام منهم، وهذه لا يقدر عليها إلا أصحاب القلوب الرحيمة قلباً وقالباً، وأعظم هؤلاء على الإطلاق، سيد الخلق ﷺ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن صور الدفع بالحسنى في حياته ما روته عائشة أنها قالت: لرسول الله ﷺ يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظللتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً» وهذا لفظ مسلم، فقد عرض عليه عذابهم، واستئصالهم، فاستأنى بهم، وسأل لهم التأخير، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا»[١].

(١) رواه البخاري ومسلم، انظر تفسير ابن كثير (٢/١٣٧).

وانظر إلى قمة الروعة في العفو والدفع بالحسنى مع أنه قد أذن له بأن يأمر ملك الجبال بما شاء.

إن من أجمل ما تميز به ديننا الإسلامي، عن غيره من الأديان، والمذاهب، والفلسفات، والحركات، هي قيمة التسامح، التسامح الحقيقي بشرطه اللازم وهو التسامح والعفو مع المقدرة على الرد، التسامح مع من ظلمنا، مع من أخطأ بحقنا، مع من يتوقع منا الإساءة إليه؛ لأنه أساء إلينا، ويظن أننا نعامل بالمثل، مع أنه أمر مشروع في ديننا، لكن الصبر والإحسان، أعلى وأولى، فالمسلم الحقيقي ذو أخلاق عالية، وذو منبت صالح، لا يحمل بغضاً، ولا يحقد على أحد، ولا يقابل من أساء إليه إلا بكل إحسان، وحسن خلق، وطيبة، وتسامح، وعفو، فليس هناك أجمل، ولا أروع، ولا أبهى صورة، من أن يقابل الإنسان السيئة بالحسنة، والعداوة بالمحبة، والإساءة بالإحسان، وغايته في ذلك إرضاء الله تعالى وحده، والفوز برضاه، وامتثال قيم الإسلام الحقة، وليس طمعاً في إرضاء الناس.

وسبحان الله نجد من يتحلى بخلق التسامح والدفع بالحسنى إنساناً متزناً، عاقلاً معرضاً عن سخيف الأمر، وسفاسف الأمور، وهنا يظهر طيب أصله، وحسن معدنه، وامتلاكه لنفسه، وهذه صفات عباد الرحمن الواردة في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ

يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقـان: ٦٣]
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

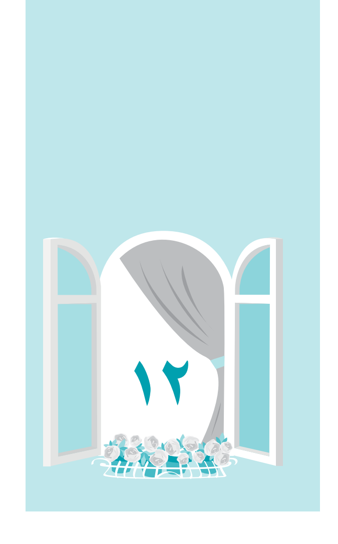
١ ـ تذكر الخطوات الثلاث المذكورة في المقدمة.

٢ ـ تذكر أن هذه أخلاق النبي ﷺ الذي طلب منك الاقتداء به كما أنها أخلاق يحب الله صاحبها فتخلق بها يحبك الله.

٣ ـ إذا أردت أن تكون أعظم من الآخرين وأعلى منهم فدفعهم بالحسنى في كل ما يعاملونك به.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(ادفع بالحسنى تزل البغضاء والشحناء وتقرب البعداء)



الطاعة والقرب من الله

وهو باب المحبة مـــع الله ﷻ؛ الذي هو مدخل القبول عند العالمين، كيف والأمر مرتبط بمالك القلوب، ومصرفها كيف يشـــاء، وليس لأحد معه مقدرة ولا أمر، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

ولسائل أن يسأل لماذا أخرت هذه النافذة ومن حقها التقديم؟

وأقول: إنـــي أردت أن أبرهـــن علـــى أن كل النوافذ الســـابقة، واللاحقة، إنما ركيزتها الأولى، وأساســـها المتيـــن، هو هذه النافذة، وإنما أخرت ليعلم مدى أهميتها، بعد التعرف على كثير من النوافذ، ومدى نفعها؛ فتشـــتاق النفوس إلى امتثالهـــا، والاتصاف بها، حتى تكســـب القلوب، وهنا تعلم أن قيام هذه النوافذ حقيقة القيام، وعلى الوجه الأكمل، إنما هو بهذه النافذة؛ لذلـــك فلا حرج في تأخيرها، كيـــف وقد أُخر النبـــي ﷺ زماناً، فـــكان خاتم الرســـل، وهو أفضل الخلق، وأشرفهم، وأخر القرآن من بين الكتب نزولاً، وهو أعظمها، والمهيمن عليها، وجعل له الحفظ والخلود.

إن القادر على فتح مغاليق القلوب اثنان:

أحدهما له مقدرة جزئية أو أغلبية، والآخر من لديه مقدرة كاملة وشاملة.

فالأول: هو الشخص نفسه، فأنت لا تقدر في بعض الأحيان أن تفتح قلبك لمن ترغب فيه، أو تجله دائما، وعلى كل حال، كما أنك لا تستطيع في بعض الأحيان أن تغلق قلبك عمن لا ترغب فيه دائما، وعلى كل حال، وهذا أمر مشاهد ومجرب؛ فكم ممن ترغب فيه، وتجله، وتنزله من قلبك بالمحل الأسنى، ربما أغلقت قلبك عنه للحظات، أو دقائق، أو أيام، أو للأبد؛ وذلك لصفة جَدّت فيه، أو فعل وقع منه، فتكرهه لأجله، أو لا تقبله، بل ربما بعد المحبة تصبح عداوة، وبعد الود لوم وعتاب، حتى إنها ربما حدثت أفعال قوية، كالضرب مثلا. فولدك المحبوب لديك؛ لو خالف أمرك ربما ضربته، أو لمته، وأعرضت عنه، وكذلك زوجتك، بل ربما وصل الأمر بعد المحبة والعشق، وعدم رؤية غيرها في الدنيا، إلى طلاقها، وتمني الهلاك لها في الدنيا والآخرة، بل وكم من معظم لديك من عالم، أو مفكر، أو حاكم، أو غيرهم، سقط من قلبك لفعل صدر منه، أو أمْرٍ أمَرَ به، أو قول قاله، وهو لا يعجبك، لكن ربما بعد الإعراض عنه لفترة؛ يرجع محله في قلبك إلى ما كان عليه سابقاً.

عن عائذ بن عمرو، أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله ﷻ من عنق عدو الله

مأخذها، فقال أبو بكر: تقولون هذا لشـيخ قريش، وسـيدهم، فأتى النبـي ﷺ فأخبره، فقـال: «يا أبا بكـر لعلك أغضبتهـم؟ لئن كنت أغضبتهـم لقد أغضبت ربـك ﷻ فأتاهم أبو بكر فقـال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي»[1].

وقل كذلك في حق من لا ترغب فيه، فقد يقع منه فعل، أو ترى فيه صفة، تعجبك بـه، وتدخله إلى قلبك، ولـو لبعض الوقت، مع أنك لا ترغب في دخوله إلى قلبك، وانظر إلى أبي سـفيان عندما « أشـرف على المسـلمين ـ يوم أحد ـ فقال: أفي القوم محمد ثلاثاً؟ فقال رسـول الله ﷺ: لا تجيبوه، ثم قال: أفي القـوم ابن أبي قحافة ثلاثـاً؟ ثم قال: أفي القـوم عمر بن الخطاب ثلاثاً؟ ثـم التفت إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فقال عمر: كذبت ـ أي عدو الله ـ قـد أبقى الله لـك ما يخزيـك، فقال: اعـل هبل، اعل هبـل، فقال رسول الله ﷺ: قولوا: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، فقال أبو سفيان: أنشـدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك، فقال: أنت أصدق من ابن قمئة، ثم قال: هذا بيوم بدر، والحرب سجال»[٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الكامل في التاريخ (٢/٥٣).

وأما الآخر الــذي لديه المقدرة التامة الكاملــة على فتح مغاليق القلوب، فهــو مالكها على التحقيق، وهــو الله ﷻ؛ لأنه الخالق، بل وأمر تقليب القلوب بيده، عن أنس قال: كان رســول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلــب القلوب ثبت قلبي على دينــك » فقلت: يا نبي الله آمنا بك، وبمــا جئت به، فهل تخاف علينا، قــال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»[١].

لذلك كانــت الطريقة الأســهل، والأضمن، والأنســب، في فتح مغاليق القلوب، التوجه إلــى مالكها ليفتحها، وقد روى مســلم في صحيحه «باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده » عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في الســماء، فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل الســماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغــض عبــداً دعا جبريــل، فيقول: إنــي أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء، إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»[٢].

والارتباط الحقيقي بمالك القلوب يكسبك هذه القلوب، شاءت أم أبت، عن عائشــة أن رســول الله ﷺ قال: «من أرضى الله بســخط

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

(٢) صحيح مسلم(٤/٢٠٣٠).

الناس كفاه الله، ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس»[١].

قال ابن تيمية: «وكتبت عائشة إلى معاوية، وروى أنها رفعته إلى النبي ﷺ «من أرضى الله بسخط الناس كفاه مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً» هذا لفظ المرفوع، ولفظ الموقوف «من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس له ذامّاً» هذا لفظ المأثور عنها، وهذا من أعظم الفقه في الدين، والمرفوع أحق وأصدق، فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، وهو كاف عبده، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، فالله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب، وأما كون الناس كلهم يرضون عنه فقد لا يحصل ذلك، لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض، وإذا تبين لهم العاقبة، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً، كالظالم الذي يعض على يده، يقول: «ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً» وأما كون حامده ينقلب ذامّاً، فهذا يقع كثيراً، ويحصل في العاقبة، فإن العاقبة للتقوى لا يحصل ابتداء عند أهوائهم، وهو سبحانه أعلم»[٢].

---

(١) رواه ابن حبان وعبد بن حميد.

(٢) مجموع الفتاوى (٥٢/١).

وأيضاً هـذا هو مفتاح السر في نجاح كل الأمور، وتحقيق المطالب، وفتح القلوب، وتيسير العسير، وإضاءة الدروب، وإنارة الحياة بأسرها، وعيش السعادة واقعاً ملموساً.

قال الإمام علي:

إِذا لَم يَكُن عَونٌ مِنَ اللهِ لِلفَتى ... فَأَكثَرُ ما يَجني عَلَيهِ اِجتِهادُهُ

وقال عبد الغفار الأخرس:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فكلُّ معينٍ ما عدا الله خاذل

وعون الله قريب من أهل طاعته، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

قال أبو الفتح البستي:

واشدُدْ يَدْيكَ بحَبلِ الدِّينِ مُعتَصِماً ... فإنَّهُ الرُّكْنُ إنْ خانَتْكَ أركانُ

مَنْ يَتَّقِ الله يُحْمَدُ في عَواقِبِه ... وَيكفِهِ شَرَّ مَنْ عزُّوا ومَنْ هانُوا

مَنِ استعانَ بغَيرِ اللهِ في طَلَبٍ ... فإنَّ ناصِرَهُ عَجزٌ وخِذْلانُ

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي

يبطـــش بها، ورجله التي يمشـــي بهـــا، وإن ســـألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله؛ ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته»[١].

قال ابن علوي الحداد:

ومن ضيع التقوى وأهمل أمرها ... تغشته في العقبى فنون الندامة
ومن كانت الدنيا قصارى مراده ... فقد باء بالخســـران يوم القيامة
ومن لم يكن في طاعة اللهَ شغله ... علـــى كل حال لا يفـــوز ببغية
ومن أكثر العصيان من غير توبة ... فذاك طريح فـــي فيافي الغواية
بعيد عن الخيرات حل به البلى ... وواجهه الخذلان من كل وجهة

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

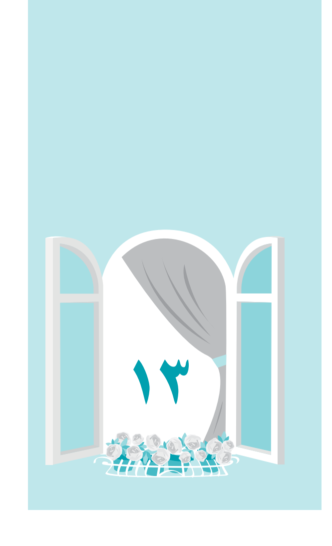
١ ـ هذا بابه واحد وهو الامتثـــال لأمر الله ورســـوله والانتهاء عن نهيهما وإحسان العبادة على مقتضى الشرع، قال تعالى « يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في الســـلم كافة » وقال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا».

لتكن الحكمة التي تســـتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(طاعتك للّه الكريم مفتاح القبول والتكريم)

---

(١) رواه البخاري.



١٣ العلم والمعرفة

إن العلم حياة القلوب، وبه تنير الدروب، فكم رفع من لا نسب له، وأغنى من لا مال له، وسوّد من لا عشيرة له، وملك من لا سلطان له، وليس ذلك كل علم، بل العلم النافع الذي لا تعالم فيه، ولا تكبر لصاحبه، المبذول للخلق، مع التأصيل فيه، ونشره، ونفع الناس به.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

عن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله وملائكته، وأهل السماوات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير» قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وسمعت أبا عمار الحسين بن حريث الخزاعي يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السماوات»[١].

---

(١) رواه الترمذي، قال في مجمع الزوائد (١/١٢٥) رواه الطبراني في الكبير وفيه القاسم أبو عبدالرحمن وثقه البخاري وضعفه أحمد.

قال المناوي: «أي يستغفرون لهم طالبين؛ لتخليهم عما لا ينبغي، ولا يبق بهم من الأوضـــار والأدناس، لأن بركــة علمهم، وعملهم، وإرشــادهم وفتواهم، ســبب لانتظام أحــوال العالم، وذكــر النملة والحوت بعد ذكر الثقلين والملائكــة، تتميم لجميع أنواع الحيوان، على طريقة الرحمن الرحيم، وخص النملة والحوت بالذكر، للدلالة على إنزال المطر، وحصول الخير والخصب ببركتهم، كما قال: بهم تنصرون، وبهم ترزقون، حتى إن الحوت الذي لا يفتقر إلى العلماء افتقار غيــره لكونه في جــوف الماء، يعيــش أبــداً ببركتهم، ذكره القاضي. وقال الطيبي: قوله» إن الله وملائكته «جملة مســتأنفة لبيان التفاوت العظيم بيــن العالم والعابد، وأن نفــع العابد مقصور على نفسه، ونفع العالم متجاوز إلى الخلائق حتى النملة»[١].

ومن روائع أشعار الإمام علي بن أبي طالب:

النـاسُ مِن جِهَــةِ التِمثالِ أكفاء ... أَبوهُــمُ آدَمُ وَالأُمُ حَــوّاءُ

نَفــسٌ كَنَفسٍ وَأَرواحٌ مُشــاكَلَةٌ ... وَأَعظُــمٍ خُلِقَت فيهــا وَأَعضاءُ

وَإِنَّمــا أُمَّهــاتُ النــاسِ أَوعِيَةٌ ... مُســتَودِعاتٌ وَلِلأَحســابِ آباءُ

فَإِن يَكُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم شَرَفٌ ... يُفاخِــرونَ بِــهِ فَالطيــنُ وَالماءُ

ما الفَضلُ إِلا لِأَهلِ العِلمِ إِنَّهُمُ ... عَلى الهُدى لِمَنِ اِستَهدى أَدِلّاءُ

---

(١) فيض القدير (٤/٤٣٢).

وَقدرُ كُلِّ اِمرِئٍ ما كَانَ يُحسِنُهُ وَلِلرِجالِ عَلى الأَفعالِ أسماء
وَضِدُّ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يَجهَلُهُ وَالجاهِلونَ لِأَهلِ العِلمِ أَعداءُ
فَفُز بِعِلمٍ وَلا تَطلُب بِهِ بَدَلاً فَالناسُ مَوتى وَأهُلُ العِلمِ أَحياءُ

إن العلماء هم الأحياء على الحقيقة، حتى بعد موتهم، تمتد حياتهم بذكراهم أجيالاً وأجيالاً، بينما لا يخلد التاريخ في ذكراه، لينقلها للأجيال المتعاقبة، إلا العظماء والعلماء، وبقيت الخلق يدخلون في سجل النسيان؛ وما ذلك إلا لأن العلماء انتفع بهم الخلق فخلدت ذكراهم.

قال جعفر الخرسان:

ماتوا فعاشوا بحسن الذكر بعدهم ونحن في صورة الأحياء أموات
كم مات قوم وما ماتت محاسنهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

قال سابق البربري:

مَوتُ التَّقيِّ حياةٌ لا انقِطَاعَ لها قد مات قومٌ وَهُم في النَّاسِ أحياءُ

لقد جعل العلم من مرجحات الملك ومزاياه ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

كما جعل المعيار في الظفر بالأمور، وتحقيق المطالب، والأمنيات ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠].

بل قد جعل الله كلام أهل العلم، وإرشادهم، نجاة من الهلاك في الدنيا ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩ ـ ٨٢].

ولأجل هذا كله، ولغيره، أرشد الله تعالى نبيه ﷺ أن يطلب الازدياد منه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

كما أن العلم من تمام السؤدد، والسيادة على الناس، والسؤدد بدونه شين ونقص، قال عمر: «تفقهوا قبل أن تسودوا»[١].

(١) رواه البخاري تعليقا والدارمي وابن أبي شيبة.

عن تميم الداري قــال: تطاول الناس في البنــاء، في زمن عمر، فقال عمــر: يا معشــر العريــب الأرض، الأرض، إنه لا إســلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه؛ كان حياة له، ولهم، ومن ســوده قومه على غير فقه؛ كان هلاكا له، ولهم»[١].

قال القاضي الجرجاني:

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي   لأ خدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشــقى به غرســا وأجنيه ذلة   إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلــم صانوه صانهم   ولو عظموه فــي النفس لعظما

وانظر كم نحب نحن علمائنا الســابقين، مــع أننا لم نرهم، ولم نســمع منهم، ولم ننتفع منهم بمال، أو دينــار، أو درهم، وبعضهم حتى لــم ننتفع نحن في خاصة أنفســنا منهم بالعلم، وإنما ســمعنا أخبارهم، وعلمهم، فأحببناهم.

حتى غيرنا يحبون العلماء السابقين، عالميّاً، وخاصة من كان له إسهام في الحضارة، والفكر، والثقافة، والمعرفة، ونحن نحب المسلم منهم، ونحترم غير المسلم لعلمه.

---

(١) رواه الدارمي.

عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا**» ـ أي حقه ـ[1].

ينبغي على العالم أن يتلطف بالناس في كلامه، وخطابه، وفي مقدار الزمن الذي يتكلم به، وفي اختيار الوقت المناسب، وألا يثقل على السامع في كل ذلك، لئلا ينفره من العلم، وسماع الحق، وهذا هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من بعده، عن شقيق قال: كنا جلوساً عند باب عبد الله ننتظره، فمر بنا يزيد بن معاوية النخعي، فقلنا أعلمه بمكاننا، فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله، فقال: إني أخبر بمكانكم فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام؛ مخافة السآمة علينا»[2].

كما ينبغي على العالم، وطالب العلم، أن يتخير من الكلام ما يلامس واقع الناس، ولا يجنح في خطابه بعيداً عن واقعهم؛ لأن ذلك أدعى لامتلاك قلوبهم، وأسر عقولهم، وحسن إرشادهم.

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ بابه واحد وهو أن تطلب العلم ولا ترضى بالجهل وأفضل العلم علم الشرع ثم كل علم قال عنه العلماء أنه فرض كفاية

---

(١) رواه أحمد والحاكم والضياء في المختارة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وهو ما فيه صلاح أمر الدين مما زاد عـــن الواجب فيه وما فيه صلاح أمر الدنيا والناس، واعلم أن كل علم إذا كل لله دل على الله وأرشد إليه وعلى معرفته وكل ميسر لما خلق له.

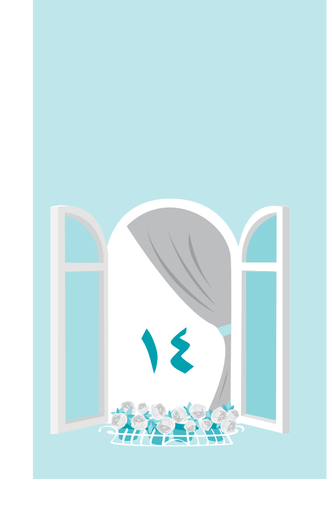
٢ ـ كن أحد ثلاثة وإلا هلكت ففي الأثـــر « كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ـ أو واعياً ـ ولا تكن الرابع فتهلك »قال ابن تيمية ليس ثابتاً عن النبي ﷺ لكنه مأثور عن بعض السلف:

لتكن الحكمة التي تســـتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(العلماء أحياء في قلوب الخلق إلى يوم الحق)

أو

(العلماء والحكماء أطباء القلوب)



حسن الطرح وتفهم الأمور

وهي غير البيان باللسان، وغير حدثوا الناس بما يعرفون، من النوافذ التي ستأتي، وإن كان بينهم تشابه وتداخل، في بعض الأمور، أو في كثير منها.

إن تفهم الأمور مدخل لحسن التصور، الذي يسدد المرء بعد ذلك في طرحه للمسائل.

وتفهم الأمور منهج إلهي، حث عليه سبحانه عباده ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

عن أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ «كان إذا تكلم، تكلم ثلاثاً، لكي يفهم عنه»[١].

وروي أنّ أنساً كان إذا تكلم، تكلم ثلاثاً، ويذكر أن النبي ﷺ كان إذا تكلم، تكلم ثلاثاً، وكان يستأذن ثلاثاً»[٢].

وتفهم الأمور ـ وخاصة التي يمكن أن توقع في مزالق،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن قاله في مجمع الزوائد.

(٢) رواه أحمد.

ومشكلات لا يحمد عقباها ـ لا بد منه، وهو مطلب شرعي، وتوجيه إلهي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ولذلك كان من تفهم الأمور: التأني في الحكم، والتثبت في النقل والخبر، وتصوره تصوراً صحيحاً، والتأكد منه ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور: ١٢] ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦].

ولذلك قالوا: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فمن لم يحسن التصور، سيخطئ في الحكم، والحكم شهادة المرء على الشيء، أو المسألة. والمرء مسئول عن ذلك بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزُّخرف: ١٩].

وحسن الطرح يكون: بكلام مفهوم، وبتأن دون إسراع، وبتبسيط دون تعقيد، وبلغة يفهمها الجميع.

والبلاغة: إيصال المعنى بأخصر لفظ، وليس إبهار السامع من دون فهم.

وقد ترجم البخاري في صحيحه «باب من خص بالعلم قوماً دون قوم؛ كراهية أن لا يفهموا» وقال علي: «حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[1].

(١) رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: «والمراد بقوله « بما يعرفون » أي يفهمون، وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم لــه، عن عبدالله بن داود عن معروف في آخره، ودعوا ما ينكرون ـ أي يشــتبه عليهم فهمه ـ وكذا رواه أبو نعيم في المســتخرج، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مســعود: «ما أنــت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم»[1].

وقد قالوا: «لكل مقام مقال » ومن لم يحسن هذا الأمر يدل على نقص العقل عنده، وعدم اكتماله.

وقالوا: «الجواب على حسب الســؤال » لكن لو وجد المسئول فائدة زائدة تهم الســائل زاده، مثل حديث « هــو الطهور مائه، الحل ميتته» وإنما سأل السائل عن الماء فقط.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: يا عائشــة، «لولا أن قومك حديث عهــد بجاهلية؛ لأمرت بالبيت فهــدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلــت له بابين: باباً شــرقياً، وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم».

وفي رواية عن عائشــة قالت: ســألت النبي ﷺ عن الجدر، أمن البيت هو؟ قال: نعم، قلت: فما بالهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: «إن قومك قصرت بهم النفقة» قلت: فما شأن بابه مرتفعاً، قال: «فعل ذاك

(١) فتح الباري (١/٢٢٥).

قومك ليدخلوا من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا، لولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية؛ فأخاف أن تنكر قلوبهم، أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه في الأرض»[1].

إن حسن الطرح مدخل للقلوب ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ أولاً عليك بالتأني في تصور المسائل والأحداث وحسن فهمها على وجهها وعلى مراد قائلها فإن لم تفهم فسأل من هو أعلم منك.

٢ ـ اصبر دائماً على تعليم الناس ما تقوله لأنك إنما تريد نفعهم ومن غضب عليهم أو أسرع عليهم بدون فهم منهم إما أم يملوه أو يقلوه ويهجروه فلا يلمهم بعد ذلك.

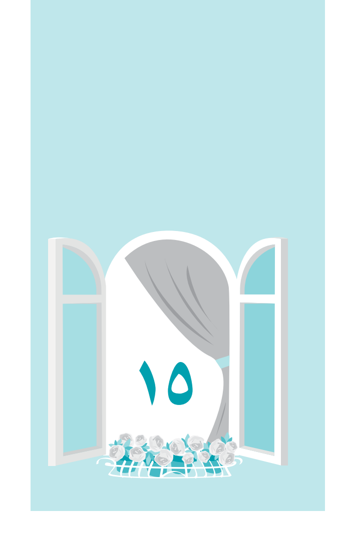
٣ ـ أحسن فيما تطرحه من كلام وقضايا حتى يستجاب لك فالأمر المشوش لا يفهم وما لا يفهم لا يعمل به.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(افهمني وفهمني أحطك على عيني)

---

(١) رواهما البخاري.



التيسير في الدين بدون تمييع

إن التيسير في الدين منهج إلهي، بني عليه شريعة الإسلام كلها، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦ – ٢٨].

وقد بين ذلك النبي ﷺ خير بيان، ووضحه أعظم توضيح، وأرشد إليه، وحث عليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيّاً دخل المسجد فصلى، فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحداً، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: «لقد تحجرت واسعاً» فلم يلبث أن بال في المسجد، فعجل الناس إليه فنهاهم، وقال: «أهريقوا عليه ذنوباً،

أو سجلاً من ماء ـ يعني بوله ـ وقال: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[١].

وعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[٢].

و«إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده؛ لأنه قد يفعلهما في وقتين، فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة، أو مرات وعسر في معظم الحالات، فإذا قال: ولا تعسروا، انتفى التعسير في جميع الأحوال، من جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب، وكذا يقال في يسرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا؛ لأنهما قد يتطاوعان في وقت، ويختلفان في وقت، وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء، وفي هذا الحديث: الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف، وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وفيه تأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي، كلهم يتلطف بهم، ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً، قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن الجارود.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

التكليف على التدريج، فمتى يسر على الداخل في الطاعة، أو المريد للدخول فيها سـهلت عليه، وكانت عاقبته غالبـاً التزايد منها، ومتى عسرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أو شك أن لا يدوم، أو لا يستحليها، وفيه: أمر الولاة بالرفق، واتفاق المتشاركين في ولاية ونحوها، وهذا من المهمات، فإن غالب المصالح لا يتم إلا بالاتفاق، ومتى حصل الاختلاف فات، وفيه وصية الإمام الولاة وإن كانوا أهل فضل وصلاح، كمعاذ وأبي موسى، فإن الذكرى تنفع المؤمنين»[١].

وقد ترجـم البخاري فـي صحيحه « بـاب الدين يسـر وقول النبي ﷺ: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[٢].

ومعنى قوله: «إن هذا الدين يسـر يحتمل وجهيـن: أحدهما: أن الشريعة سـهلة فلا ينبغي التشـديد على النفس، والثاني: أن يكون المعنى إنما ينال الديـن بالتلطف، ويدل على هذا الوجه قوله « ولن يشـاد الدين أحد إلا غلبه «وقوله «فسـددوا» أي اسـتعملوا السداد والصواب، وقاربوا ذلك إذا عجزتم عنه، والدلجة سـير الليل، وذكر الغدوة والروحة والدلجة مثل للتلطف، فإن المسـافر لو قطع الليل

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٤٠).
(٢) رواه البخاري.

والنهار بالسير انقطع، وإنما يسير الغدوة والروحة، وشيئاً من الليل؛ ليجمع بين قطع الطريق، والتلطف بالرواحل، وقوله « القصد، القصد » المعنى اقتصدوا في العبادة، ولا تحملوا منها ما لا تطيقونه»[١].

وترجم البخاري أيضاً « باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا و«عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فان كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله»[٢].

فهذا بيان الله تعالى، ورسوله ﷺ في هذا الأمر، وليس بعد بيانهما بيان، وخاصة فيما فصل الأمر فيه، وما أردت قوله: في تقريب المسألة إلى الأفهام، أن الوسطية والاعتدال هي من الدين، وفي حدود الدين، فأي تشدد فيه مما ليس فيه فهو غلو، وأي تفريط فيه عما هو فيه فهو تمييع، والوسط بينهما، وهو الدين بكل ما فيه من رخصة وعزيمة (إن هذا الدين يسر) الدين نفسه يسر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقال سبحانه ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾.

---

(١) كشف المشكل (٥٣١/٣).

(٢) رواهما البخاري.

وانظر إلى من يتحايل على أمور الشرع، ولا يعلم أن مرد الأمر؛ إلى أمر الله تعالى ونهيه، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

إن الوسطية اليوم مصطلح شـريف كبير، وقع عليه ظلم وحيف كثيـر، وتلاعب به من تلاعـب، ولا بدَّ من ضبط أصولـه، وتقييده بضوابطه الشرعية، ليبقى في سموه، ورقيه، وإضاءته.

وقد روى الخطابي فـي (العزلة) من جهة ابـن أبي قماش عن عائشة قالت: «ما أمر الله عباده بما أمر، إلا وللشيطان فيه نزعتان: فإما إلى غلو، وإما إلى تقصير، فبأيهما ظفر قنع».

وعن علي بن عثام قال: كلا طرفي القصد مذموم. ولبعض الشعراء:

ولا تعد في شـيء من الأمـر واقتصد
كلا طرفـي قصـد الأمـور ذميـم(١)

وهذا الأمر هو ركيزة هذه الأمة بين الأمم، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) المقاصد الحسنة (١/٦١٦).

لذلك جعل شعار الوسطية، وحمل رايته، وإظهاره مرتبط بالثقات من العلماء، لا بغيرهم ولا بأنصاف العلماء، ولا بالمثقفين، فقد ورد عن سفيان الثوري أنه قال: «إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد».

ولتبيين طرفاً من التيسير في الدين والفتوى والانضباط في ذلك، اذكر كلاماً لابن الصلاح في فتاويه « .... السابعة لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى، ومن عرف بذلك لم يجز أن يستفتى، وذلك قد يكون بأن لا يثبت، ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر، وربما يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعة، والإبطاء عجز ومنقصة، وذلك جهل، ولأن يبطئ ولا يخطئ، أجمل به من أن يعجل فيضل ويضل، فإن تقدمت معرفته بما سئل عنه على السؤال فبادر عند السؤال بالجواب فلا بأس عليه، وعلى مثله يحمل ما ورد عن الأئمة الماضيين من هذا القبيل، وقد يكون تساهله وانحلاله بأن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحظورة، أو المكروهة، والتمسك بالشبه للترخيص على من يروم نفعه، أو التغليظ على من يريد ضره، ومن فعل ذلك هان عليه دينه، ونسأل الله العافية والعفو، وأما إذا صح قصده فأحتسب في تطلب حيلة لا شبهة فيها، ولا يجر إلى مفسدة، ليخلص بها المستفتي من ورطة يمين، أو نحوها، فذلك حسن جميل، يشهد له قول الله تبارك وتعالى: لأيوب ﷺ وعلى نبينا،

لما حلف ليضربن امرأته مائة « وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث » وورد عن سفيان الثوري أنه قال: «إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد «وهذا خارج على الشرط الذي ذكرناه، فلا يفرحن به من يفتي بالحيل الجارة إلى المفاسد، أو بما فيه شبهة؛ بأن يكون في النفس من القول به شيء، أو نحو ذلك، وذلك لمن يفتي بالحيلة الشرعية في سد باب الطلاق، ويعلمها، وأمثال ذلك والله أعلم»[١].

وينبغي على العالم، بل وعلى أي مسلم، ألا يعتقد أن الناس إذا لم يشددوا في المسائل الشرعية بأنهم قد ضلوا، أو زاغوا، أو هلكوا، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال هلك الناس فهو أهلكهم «وفي رواية «من قال هلك الناس فهو من أهلكهم»[٢].

قالوا: «ليس الفقيه من يعرف الخير من الشر، إنما الفقيه من يعرف: خير الخيرين، وشر الشرين».

إن الناس من طبيعتهم لا يحبون من يشدد عليهم، وخاصة فيما لهم به من الله سعة، كمثل الاختلافات الواقعة بين الفقهاء، واتباع كل طائفة فقيه اختاروه، وساروا على مذهبه.

كما أنهم لا يحبون من يغلظ لهم القول، أو لا يلين لهم الجانب،

---

(١) فتاوى ابن الصلاح (١/٤٦ - ٤٨).

(٢) رواه الطيالسي وابن الجعد.



ولذلك راعى النبي ﷺ هذا المعنى بإلهام من الله في تعامله مع الناس، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ لا بد من مراعاة المقاصد الشرعية وخاصة أن الشريعة مبناها على اليسر.

٢ ـ لا بد من المعرفة الجيدة لأمور الدين وخاصة أمور الخلاف حتى لا يُضيّق ما فيه سعة.

٣ ـ ليكن الهم الأوحد إيصال الناس إلى الله بتحبيبهم إليه والسير بهم إليه بالرحمة والتيسير لكن مع عدم انفراط العقد.

٤ ـ لا تضق من التيسير على الناس إذا احتمل ذلك في مسائل الشرع فإنها وصية نبوية لأصحابه فمن دونهم.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(إن هذا الدين يسر) أو (يسرا ولا تعسرا)



المجاملة والمدح والثناء بالحق

إن النفوس مفطــورة على حب المدح والثنــاء، لما تجد فيه من التقدير لعملها، والاحترام لذاتها، ومراعاة شــعورها، وإبداء نوع من المجازاة على حســن صنائعها، بل إن بعض النفــوس لتحب المدح حتى بما لــم تعمل، مــع أن الله تعالى قــد حذر من هــذا المنهج، والســبيل ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

لكن قد يمدح المرء بحــق فيما يقوم به من عمــل الخير وهذا لا بأس به ما دام أنــه لا يرائي عن أبي ذر قال قيل لرســول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخيــر ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن(١).

قال أحمد الكناني:

وَلكِن طيــبُ ذكــرِكَ لَيسَ إِلا   وَطيــبُ الذِكر يســتدعي الثَناءَ

---

(١) رواه مسلم.

إن المجاملة والثناء مدخل مباشــر إلى أســر القلوب؛ لأنها قد فطــرت على محبة من أحســن إليها، وإن من النفــوس من تعد من أحسن الإحسان إليها أن تمدح ويثنى عليها، ويرفع من شأنها، ويعلى من قدرها.

قال ابن أبي البشر:

سأشكره شــكر الرياض لمزنَةٍ　　　تــروح عليها بالعهــاد وتغتدَي
لعمرك ما ورد جنــي ونرجسٌ　　　بأطيب من عَرف الثناء المخلَّدِ

إنك بالمدح تستطيع أن تجعل الممدوح مرتاحاً لك ولما تقول، بل وأعظم من ذلك أن تجعله يفعل ما تأمره به، أو ترشده إليه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصهــا علــى رســول الله ﷺ فتمنيــت أن أرى رؤيــا فأقصها على رسول الله ﷺ وكنت غلاماً شــاباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رســول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذانــي فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئــر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقــول: أعوذ بالله من النار، قــال: فلقينا ملك آخر، فقــال لي: لم تــرع، فقصصتها علــى حفصة، فقصتهــا حفصة على رســول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لــو كان يصلي من الليل، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً»[١].

(١) رواه البخاري ومسلم.

قال المتنبي:

وَتَفوحُ مِن طيبِ الثَناءِ رَوائِحٌ   لَهُمُ بِكُلِّ مَكانَةٍ تُستَنشَقُ

حتى إن النبي ﷺ كان يثني على المؤدين لزكاتهم، ويدعوا لهم، وذلك امتثالاً لأمر الله له، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣] عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صل على آل فلان، فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى»(١).

وهذا ما حدا ببعض المانعين للزكاة من التمسك به، أن قالوا من يصلي علينا، فمنعوها لذلك، مستدلين بعموم الآية.

قال ابن كثير: «أمر تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها، وهذا عام، وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم، وخلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصاً بالرسول ﷺ ولهذا احتجوا بقوله تعالى: «خذ من أموالهم صدقة » الآية، وقد رد عليهم هذا التأويل، والفهم الفاسد، أبو بكر الصديق وسائر الصحابة، وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة، كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري ومسلم.

حتى قال الصديق: «والله لو منعوني عناقاً ـ وفي رواية ـ عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه»[(١)].

وإن من أعظم المدح والثناء ما كان من الأعلى للأدنى، ومن صاحب المدح المطلق الحق على الحقيقة، لمن لا يملك شيئاً، ممن مدحه زين، وذمه شين، بصدق دون مين، ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

قال فتح الله المفتي:

وَلَقَـد مَدَحت جَنابَـهُ بِقَصيدَةٍ ... لَو لَم تَكُن في مَدحِهِ لم تعذُبِ
غرّاءُ مِن غُررِ القَصائِدِ قَد أَتَت ... بِكراً تَميس وَلَـم تَكُن بِالثيِّبِ
وَتَزيَّنَت في مَدحِـهِ وَتَضمَّخَت ... بِالمِسْكِ من طِيب الثناء الطيّبِ
وَتَخضَّبَت في حَمدِهِ وَبِشُـكرِهِ ... وَبِغَيـرِ ذاكَ الحَمدِ لَم تَتَخضَّبِ
حَلَّـت لِمَحرَمِها وَإنّـك مُحرمٌ ... وهيَ الحرامُ على البعيد الأجنبي

كثيرة هي العبارات التي تدل على المدح والثناء قولاً وفعلاً، كالثواب، والثناء، والشكر، والمحبة، والعطف، والاهتمام، والتقدير، والتنويه بالمرء، وكلها ترفد في مصبٍ واحدٍ، وقد فطرت النفوس على حب من أحسن إليها، فطبيعة النفس البشرية أنها تحب الثناء،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٨٦ ـ ٣٨٧).

والشــكر، لكن ينبغي أن تكون محبــة اعتدال، لأن زيــادة الـثـناء، والعمل من أجله، قد يؤدي إلى الرياء.

كما أنه يخشى من الوقوع في التكبر والغرور، وهذان محذوران ينبغي الانتباه لهما عنــد المدح، والثناء، والعاقل من اســتوى عنده المدح وعدمه، مادام أنه يعرف قدر نفسه ولا يغتر بهواه.

فليس المهم ماذا تكون عند النــاس بمقدار ما أن المهم هو ماذا تكون عند الله وعند نفسك.

والمدح على حســن العمل، منهج إلهي، ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرَّحمن: ٦٠]، بل وهو من منهــج عباد الله الصالحين على مختلــف الأزمنة والأمكنــة،﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٨].

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رســول الله ﷺ قال: «من صنع إليكم معروفــاً فليجز به، فإن لم يجد ما يجز به فليثــن عليه، فإنه إذا أثنى عليه فقد شــكره، وإن كتمه فقد كفره، ومــن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور»[١].

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن ســألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبــوه، ومن صنع إليكم

(١) موضح أوهام الجمع والتفريق (١٧٠/٢).

معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه؛ فادعوا الله له حتى تروا أن قد كافأتموه»[١].

عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[٢]، وإن من أعظم الشكر للناس هو الثناء عليهم بالجميل والذكر الحسن، في وجوههم، وفي غيبتهم.

واجعل مجاملتك وثناءك بالحق، ولمن يستحقه، وإياك أن تصرفه إلى من ليس من أهله، فتكون من الظالمين،

قال أبو فراس الحمداني:

فـي النـاسِ إن فَتَّشـتَهُم   مَـن لا يُـعِـزُّكَ أَو تُـذِلُّـه
فَـاِتـرُك مُـجـامَـلَـةَ اللَئيم   فَـإِنَّ فيها الـعَـجـزَ كُـلَّـه

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ انظر الخطوات الثلاث المذكورة في المقدمة.

٢ ـ تعود الثناء على كل من يسدي إليك معروفاً وخاصة من المقربين منك فما أجمل أن تشكر الزوجة والأولاد والأبوين بالكلام الطيب على حسن تعاملهم معك.

٣ ـ تذكر أن الثناء يزيد من العطاء ويعمق الوفاء وأن المجاملة

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم.
(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن حبان.

تحســن المعاملة وتطفئ ما في القلوب مــن ضغائن أو تغطي عليها.

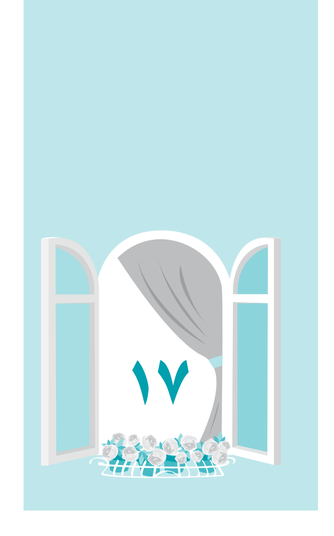
٤ ـ اجعل نصب عينيك أن الشــكر على إسداء المعروف إليك أمر نبوي يتعلق به شــكرك لله المنعم « لا يشــكر الله من لم يشكر الناس».

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(أحسن الثناء تكسب الوفاء)

أو

(حسن المجاملة تُحسن المعاملة)



١٧ المزاح المنضبط اللطيف والفكاهة

حلاوة الفكاهة والحديث، وإدخال المسرة والفرح، وبعث النشاط، وتسلية الروح، وتغيير روتين الحياة اليومية، وتجديد ركود العقل، والنفس.

لقد كانت هذه الأمور في حياة السلف مما يقضى منه العجب، فقد روى ابن أبي الدنيا في (مداراة النفوس) كثيراً من الآثار ومنها: « عن سفيان بن محمد قال: كان ابن عمر من أمزح الناس وأضحكه.

عن يونس قال: كان محمد بن سيرين صاحب ضحك ومزاح. وعن مهدي بن ميمون قال: كان محمد بن سيرين ينشد الشعر ويضحك حتى يميل، فإذا جاء الحديث من السنة كلح. وعن أم عباد امرأة هشام بن حسان قالت: كنا نكون مع محمد بن سيرين في الدار فكنا نسمع بكاءه من الليل، وربما مزح من النهار.

عن الأوزاعي أنه سمع بلال بن سعد يقول: كانوا يشتدون بين الأغراض، ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا جاء الليل كانوا رهباناً».

وقد ثبت في الأثر الصحيح، أن الصحابة كانوا إذا أكل بعضهم

بطيخاً؛ أخذوا القشــر فتراموا به ـ مزاحاً ـ فــإذا جاء الجد كانوا هم الرجال.

بل وقد كان المزاح المنضبط جزءً من منهج النبي ﷺ في تعامله مع أصحابه، فعــن أنس بن مالك أن رجلاً من أهــل البادية يقال له زاهر بن حرام، كان يهدي إلى النبي ﷺ الهدية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخــرج، فقــال رســول الله ﷺ: إن زاهــراً بادينا، ونحن حاضروه، قــال: فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعــه فاحتضنه من خلفه، والرجل لا يبصره، فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي ﷺ جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رســول الله ﷺ: من يشتري هذا العبد؟ فقال زاهر: تجدني يا رســول الله كاسداً، قال: لكنك عند الله لست بكاسد، أو قال ﷺ بل أنت عند الله غال»[(١)].

وقد أورد في مشــكاة المصابيح أحاديث في هذا الباب وترجم لها «باب المزاح»:

عن أنسٍ إِنْ كانَ النبيُّ ﷺ ليُخالطنا حتــى يقول لأخ لي صغيرٍ: «يا أبا عُمَير ما فعلَ النُّغيرُ؟ كانَ له نُغيرٌ يلعبُ به فمات» متفق عليه.

وعن أبي هريرةَ قال: قالوا: يا رســولَ الله إِنَّكَ تداعبُنا، قال: «إني لا أقولُ إِلَّا حقّاً» رواه الترمذي.

(١) رواه الترمــذي وأحمد وأبو يعلى والبــزار والطبراني وغيرهم وقــال الهيثمي ورجال أحمد رجال الصحيح.

وعن أنسٍ أنَّ رجلاً استحملَ رسولَ الله ﷺ فقال إِني حاملكَ على ولدِ ناقةٍ، فقال: ما أصنعُ بولدِ النَّاقةِ، فقال رسولُ الله: «وهلْ تلدُ الإبلَ إلَّا النوقُ» رواه الترمذي وأبو داود.

وعنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «يا ذا الأُذُنَين» رواه أبو داود والترمذيُّ.

وعنه عن النبيِّ ﷺ قال لامرأةٍ عجوزٍ: «إِنَّه لا تدخلُ الجنَّةَ عجوزٌ، فقالتْ: وما لهُنَّ؟ وكانت تقرأُ القرآنَ، فقال لها: أَما تقرئين القرآنَ «إِنَّا أنشأناهن إِنشاءً فجعلناهُنَّ أبكاراً» رواه رزين في شرح السنة.

وعن عوفِ بن مالكِ الأشجعيِّ قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ في غزوةِ تبوك وهوَ في قُبَّة من أَدمٍ فسلَّمتُ، فردَّ عليَّ، وقال: ادخُلْ، فقلتُ: أكلّي يا رسولَ الله، قال: كلُّكَ، فدخلتُ، قال عثمانُ بن أبي العاتكة: إِنما قال ادخل كلّي منْ صِغَرِ القُبَّةِ، رواه أبو داود.

وعن ابن عبَّاسٍ عن النبيِّ ﷺ قال: لا تُمارِ أخاكِ ولا تُمازِحْه، ولا تعِدْهُ موعداً فتُخلفَه، رواه الترمذيُّ وقال هذا حديثٌ غريب»[1].

ولهذا لا يمنع من المزاح إلا ما كان فيه كذب أو أذية.

قال صاحب تحفة الأحوذي: «قوله: «لا تمار» بضم أوله من المماراة ـ أي لا تجادل

ولا تخاصم ـ أخاك ـ أي المسلم ـ ولا تمازحه ـ أي مزاحاً ـ

(١) مشكاة المصابيح (١٣٦٩/٣ - ١٣٧٠).

يفضي إلى إيذائه من هتك العرض ونحوه، ولا تعده موعداً ـ أي وعداً، أو زمان وعد، أو مكانه، فتخلفه، من الإخلاف»[1].

ومما ذكره صاحب السيرة الحلبية من وصفه ﷺ أنه « كان ﷺ سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مزاح، ـ أي كثير المزاح ـ فلا ينافي ما روى أنه كان ﷺ يمازح أصحابه، قال: وقد جاء « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » لكن جاء عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ مزاحا، وكان يقول: إن الله تعالى لا يؤاخذ المزاح الصادق في مزاحه.

وجاء عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ما رأيت أحداً أكثر مزاحاً من رسول الله ﷺ

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت في النبي ﷺ دعابة.

وعن بعض السلف كان للنبي ﷺ مهابة، فكان يبسط الناس بالدعابة، قال ﷺ : لعمته صفية: «لا تدخل الجنة عجوز فبكت، فقال لها: وهو يضحك الله تعالى يقول: «إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراًعرباً أتراباً «وهن العجائز الرمص ـ أي العروب المتحببة لزوجها التي تقول وتفعل ما تهيج به شهوته إياها ـ وأتراباً كأنهن ولدن في يوم واحد؛ لأنهن يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة»[2].

---

(١) (١١١/٦).

(٢) السيرة الحلبية (٤٤٠/٣).

عن عمر بن الخطـاب أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسـمه عبـد الله وكان يلقـب حمـاراً، وكان يضحك رسـول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشـراب، فأتى به يوماً فأمـر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنـه؛ ما أكثر ما يؤتى بـه، فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»[(١)].

والمزاح مع الناس كالملح في الطعام: إن زاد لم يستطيبوه، وإن قل ملوه، ولم يستطعموه.

لكن ينبغي لمن يمزح مع النـاس أو يضحكهم، ويلقي النكات والفكاهات، ألا يقـول إلا صدقاً، ولا يكذب، فإن الكذب منهي عنه ولو في المزاح، وقد ورد التهديد الشديد به، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سـمعت نبـي الله ﷺ يقول: «ويـل للذي يحدث فيكذب ويضحك به القوم، ويل له، ويل له»[(٢)].

قال صاحب تحفـة الأحوذي: «ثـم المفهوم منه أنـه إذا حدث بحديث صدق ليضحك القوم فـلا بأس به، كما صدر مثل ذلك من عمر رضي الله عنه، مع النبي ﷺ حين غضب على بعـض أمهات المؤمنين، قال الغزالي: وحينئذ ينبغي أن يكون من قبيل مزاح رسول الله ﷺ فلا يكون إلا حقاً، ولا يؤذي قلباً، ولا يفرط فيه، فإن كنت أيها السـامع

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

تقتصر عليه أحياناً، وعلى الندور فلا حرج عليك، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة، ويواظب عليه ويُفْرط فيه، ثم يتمسك بفعل رسول الله ﷺ فهو كمن يدور مع الزنوج أبداً لينظر إلى رقصهم، ويتمسك بأن رسول الله ﷺ أذن لعائشة رضي الله عنها في النظر إليهم، وهم يلعبون، ويل له ويل له، كرره إيذاناً بشدة هلكته، وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل شر»[١].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ ١. حاول أن تلطف أحياناً الأجواء بشيء من المزاح اللطيف وحاول أن يكون كلاماً فهو أفضل من الفعل غالباً.

٢ ـ لا تكن مزاحاً دائماً فتقل هيبتك ولا عبوساً دائماً فينقبض الناس عنك.

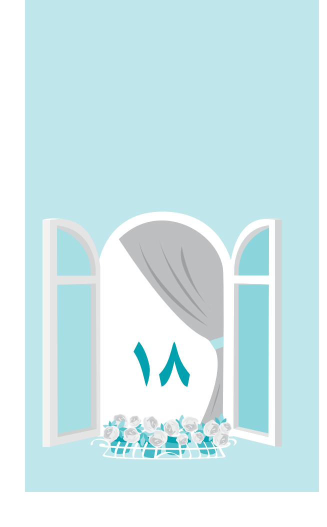
٣ ـ اعلم أن ضحكك أحياناً ومزاحك كذلك لا يسقط هيبتك ولا مكانتك في نفوس الخلق وإلا لما فعله سيد الخلق على الاطلاق محمد ﷺ.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(مقدار المزاح كالملح في الطعام إن زاد فسد وإن قلَّ لم يستطب)

---

(١) (٤٩٧/٦ - ٤٩٨).



١٨ حسن المشورة والنصح

لا ينصحك إلا محب، أما من لا يحبك فلا يبالي إن أخطأت، أو فسدت، أو هلكت، ولذلك ربطت النصيحة بالدين، وجعلت من أعلى أموره وقضاياه، عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[1].

والنصيحة تكون: بالمحبة، والانفراد، واللين، وفي الخطأ الواضح البين، وفي الخطأ المتفق عليه، ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

قال الشافعي:

تَعَمَّدني بِنُصحِكَ في اِنفِرادي ... وَجَنِّبني النَصيحَةَ في الجَماعَه

فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَوعٌ ... مِنَ التَوبيخِ لا أَرضى اِستِماعَه

وَإِن خالَفتَني وَعَصيتَ قَولي ... فَلا تَجزَع إِذا لَم تُعطَ طاعَه

(١) رواه مسلم.

إن النصيحة واجبة عليك في الحق لكل مسلم، مادام أنه يعيش في هذه الحياة، وأنت تقدر على نصحه، عن زياد بن علاقة قال: سمعت جرير بن عبد الله يقول: ـ يوم مات المغيرة ابن شعبة ـ قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت أبايعك على الإسلام، فشرط علي: والنصح لكل مسلم، فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل»[1].

قال إبراهيم الصولي:

مَن يمت يَعدَمِ النَّصيحَة وَال   إشفاقَ من كُلِّ ناصِح وَشَفيق

قال ابن حمديس:

لي صديقٌ محْضُ النصيحة كالمر   آة إذ لا تريك منها اختلالا
فتُريكَ اليمينَ منك يميناً   بالمحاذاةِ والشمالَ شمالا

حاول أن تسدي النصيحة لكل من تراه محتاجاً لها وإن لم تجد قبولاً لها من الشخص المقابل لك فيكفي أن تجد النتيجة في قلبك وهذا هو المهم وهو أن تعيش سعادة وسلاماً داخلياً، عندما تشعر أنك من العظماء الذين يقدمون النفع إلى الخلق.

---

(١) رواه البخاري.

وضد النصيحــة الغش، وهو منهي عنه في شــريعتنا، بل لقد عدّ من المخالفة لمنهجنا الإسلامي العام، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا».

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالــت أصابعه بللاً، فقــال: ما هذا يا صاحــب الطعام؟ قال: أصابته الســماء يا رســول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني»[١].

ومعنى قوله «ليس منا من غش» وفي رواية «من غشــنا» أي لم ينصح من اســتنصحه، وزين له غيــر المصلحة، فمــن ترك النصح للأمة، ولم يشــفق عليهم، ولم يعنهم بنفســه، وما بيده، فكأنه ليس منهم إلا تسمية وصورة»[٢].

وإبداء المشــورة نوع من النصح، فينبغي بذلهــا ولو لم يطلب منك، مادام أنك ترى نفعاً بها، بل وينبغي على المشار عليه أن يقبل ولو لم يعمل بها، ولا يردها على صاحبها مســتغنياً عنها، فإنها خير ما دام أنها صادرة مــن محب، أو عالم، أو حليم، عن أنس بن مالك قال: قال رســول الله ﷺ: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد»[٣].

---

(١) رواهما مسلم.
(٢) فيض القدير (٣٨٧/٥).
(٣) رواه الطبراني في الأوسط وفيه ضعف.



وقد قالوا: «من شاور الرجال شاركها في عقولها».

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

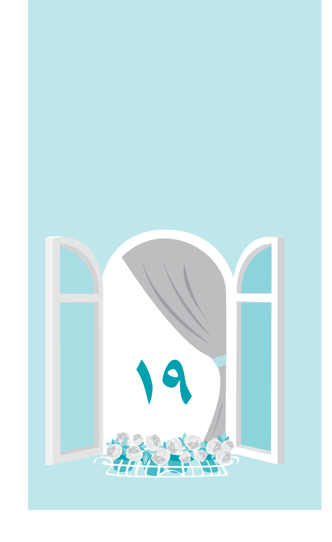
١ ـ تأمل ما سبق من خطوات في المقدمة.

٢ ـ تأمل أنك مع من حولـــك في مركب واحد إنه مركب المجتمع والحياة فإذا لم تبذل النصح فـــأي خرق في المركب يؤثر على الكل وأنت من بينهم.

٣ ـ تذكر أن الإنسان قوي بإخوانه فمن بذل نصحه ومشورته للخلق بذلوا له مثل ذلك عند حاجته إليه، وأنت محتاج دائماً للجماعة لأن الإنسان مدني بالطبع.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(النصيحة تملك بها القلوب الصحيحة
والمشورة ترسم لك في القلب صورة)



المداراة والموافقة

بين المداراة والمداهنة شــعرة، فمن جعلها لله سبحانه دارا، ومن جعلها لنفسه داهن، وقول الحق أعظم درجة من المداراة؛ لأن الشرع مدحه، عن أبي ســعيد الخــدري أن النبي ﷺ قــال: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[١] والمداراة رُخّص فيها.

من أعظم القواعد في المداراة (إن لم تقل الحق فلا تقل الباطل) نسبها أحد مشايخي للشــيخ علي الطنطاوي، وعظمة هذه القاعدة أن تداري لكن ليس على حساب الحق.

وهذا في الخير والمباح؛ لأن الخلاف شر، أما غيرهما: كالمحرم، والباطل، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولذلك قالــوا: «ودارهم ما دمت في دارهــم» فلا تجمع عليك الغربة، مع الصراحة الحادة في الوجه، والجهر بما يكرهه الآخرون، إلا أن يكــون هو الدين الحق الذي لا مناص منــه، فإما أن تقله، أو تســكت، لكن لو تعين عليك قوله وإظهاره، فــلا مفر لك من ذلك

(١) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال زهير ابن أبي سلمى:

وَمَن لا يُصانِع فـي أُمورٍ كَثيرَةٍ ... يُضَرَّس بِأَنيابٍ وَيوطَأ بِمَنسِمِ

وفي وصيةُ الإمامِ أبي حنيفةَ لتلميذه يوسفَ بنِ خالدٍ السَّمْتيِّ البصريِّ. وصّاه بها حين استأذنه الخروجَ إلى وطنهِ البصرةَ. فقال: لا، حتى أتقدمَ إليك بالوصيةِ فيما تحتاجُ إليه في معاشرةِ الناسِ، ومراتبِ أهلِ العلمِ، وتأديبِ النفسِ، وسياسةِ الرعيَّةِ، ورياضةِ الخاصَّةِ والعامَّةِ، وَتَفَقُّدِ أمرِ العامَّةِ، حتَّى إذا خرجتَ بعلمِكَ كان معكَ آلةٌ تَصْلُحُ لك وتَزِينُكَ ولا تَشينُكَ، واعلم أنَّك متى أسأتَ عِشْرَةَ النَّاسِ صاروا لك أعداءً، ولو كانوا أمهاتٍ وآباءً، ومتى أحسنْتَ عِشرةَ الناسِ من أقوامٍ ليسوا لك أقرباءَ صاروا لك أقرباءَ. ثم قال لي: اصبر يوماً حتى أفرّغَ لك نفسي، وأجمعَ لك هِمَّتي، وأعرِّفك من الأمر ما تحمدُني، وتجعلَ نفسك عليه، ولا توفيقَ إلا باللهِ .

فلما مضى الميعادُ، قال: أنا أكشِفُ لك عمَّا عزمتَ عليه، كأني بكَ وقد دخلتَ بَصْرةَ، وأقبلتَ على المناقضةِ مع مخالفيكَ، ورفعتَ نفسَك عليهم، وتطاولتَ بعلمِك لديهم، وانقبضتَ عن معاشرتهم ومخالطَتِهم، وهَجَرْتَهم فَهَجروكَ، وشَتَمْتَهُم فَشَتَموكَ، وضلَّلتَهُم فضلَّلُوك، وبدّعتَهم فبدَّعوك، واتَّصَلَ ذلك الشَّيْنُ بنا وبكَ، واحتجتَ

إلى الهربِ، والانتقالِ عنهم، وليس هــذا برأي! **فإنَّه ليس بعاقلٍ مَنْ لم يدار من ليس له من مداراتِهِ بُدٌّ**، حتى يجعلَ الله تعالى له مخرجًا، قال السَّــمتيُّ: ولقد كنتُ مُزْمِعًا على ما قال .... إلى آخر الوصيــة، وهي وصيــة نافعة، ماتعــة، عظيمة جداً، ينبغــي قراءتها، وتدارسها، ونشرها، وإذاعة ما فيها.

ومن أنواع المداراة ما قاله ابن أبي الدنيا: «المداراة بطلاقة الوجه وحســن البشــر » عن أبي هريرة قال: قــال رســول الله ﷺ: «إنكم لا تســعون النــاس بأموالكم ولكن ليســعهم منكم حســن الخلق، وطلاقة الوجــه » وعن أبي هريــرة قال: قال رســول الله ﷺ: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط وجوه، وحسن خلق»(١).

قال أبو الفتح البستي:

مَنْ سالَمَ النّاسَ يسلَمْ من غوائِلِهِمْ ... وعاشَ وَهْوَ قَريرُ العَينِ جَذْلانُ
مَنْ عاشَرَ النّاسَ لاقى مِنهُمُ نَصبَاً ... لأنَّ سوسَــهُمُ بَغْــيٌ وعُــدْوانُ

وترجم البخاري « باب المداراة مع الناس ويذكر عن أبي الدرداء إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم».

عن عروة بن الزبير أن عائشــة أخبرته، أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال: ائذنوا له فبئس ابن العشــيرة، أو بئس أخو العشيرة، فلما

(١) رواهما في مداراة الناس.



دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رســـول الله قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول، فقال: أي عائشـــة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه، أو ودعه الناس اتقاء فحشه»[١].

عن أبي عثمان قال: «موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم»[٢].

عن أبي بكر بن أبي عثمان قال: ســـمعت أبي يقول: «الطاعة في الموافقة، خير من الرعاية في المخالفة»[٣].

ســـئل ذو النون المصري « من أدوم الناس عناء؟ قال: أســـوأهم خلقـــاً، قالوا: ومـــا علامة ســـوء خلقه؟ قـــال: كثرة الخـــلاف على أصحابه»[٤].

إن مداراتك للآخرين تقلل من نشـــوء الاختـــلاف بينكم، وقلة الاختلاف تبعد البغضاء والشحناء، وتصفى النفوس والقلوب، بل إن الناس ليأنســـون بالموافق ما لا يأنســـون بالمخالف، ويرتاحون إلى الجلوس معه، ومحادثته، بل ويقبلـــون منه وجهة نظره، بخلاف من شهر عنه المخالفة، فيجعلون بينهم وبين وجهة نظره خندقاً من نار، من اقترب منها احترق.

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان.
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان.
(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

١ ـ راجع ما سبق في المقدمة من خطوات.

٢ ـ ن شئت أن تسلم كثيراً من الناس فدارهم فيما ليس بباطل قطعاً، فمن داراهم سلم.

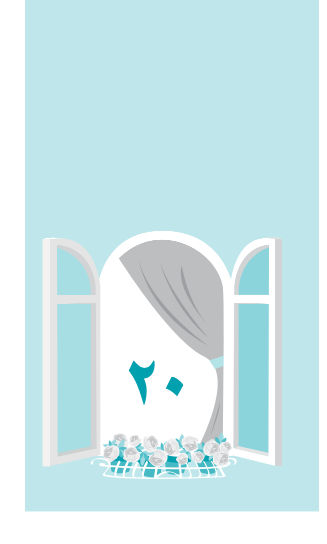
٣ ـ امش مع الناس أولاً بالمداراة حتى تدخل قلوبهم، ثم أحدث بعد ذلك ما شئت فيها من تغيير لأنك غالباً تكون قد ملكتها.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من دارا سلم ومن وافق غنم)

أو

(ودارهم ما دمت في دارهم)



التغابي والتغافل

يكمن سر التغابي في نفوذه إلى القلب؛ بأن الشخص يعلم أنك تعرف فعله، لكن تغض الطــرف عنه؛ فعن علم تغض، لا عن جهل، أو قصور معرفة، فيرســل هذا له رســالة تنبيه، أنــك إنما تفعل هذا لعفوك عــن مقدرة، أو لكــرم ونبل فــي الأخلاق، فــلا يطمع في استفزازك مرة أخرى، وتتعمق محبتك واحترامك في قلبه.

قال أبو هلال العسكري:

تَغافَل فَلَيسَ السَروَ إِلّا التَغافُلُ　　　وَلَيسَ سُقوطُ القَدرِ إِلّا التَعاقُلُ
وَلا تَتَجاهَــل إِن مُنيتَ بِجاهِلٍ　　　فَلَيسَ فَســادُ الجاهِ إِلّا التَجاهُلُ
وَلا تَتَطاوَل إِن تَطــاوَلَ أَحمَقٌ　　　فَرَأسُ حَماقاتِ الرِجالِ التَطاوُلُ

وهذا أمر يســري على أغلب الكرام من الناس، وربما لا يسري مع اللئام.

قال الشاعر:

إذا أنت أكرمــت الكريم ملكته　　　وإن أنت أكرمــت اللئيم تمردا



والتغابي والتغاضي عن خطأ الآخر نحوك، نوع من التكرم عليه، بالعفو الضمني عنه، بل هو من شـيم السادة، والأشراف من الناس، وأهل المجد والسؤدد.

قال أبو تمام:

فَأَتَوا كَريمَ الخيمِ مِثلَكَ صافِحاً ... عَن ذِكرِ أَحقادٍ مَضَت وَضِبابِ
لَيسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قَومِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَومِهِ المُتَغابي

إن المرء مدني بطبعه؛ فيحتاج إلى مخالطة الناس على اختلاف أفكارهم، ومبادئهم، وطباعهم، ويعاشر سلوكيات كثيرة متنوعة، وسيكون هناك الكثير مما لا يريده، أو لا يعجبه، ولو لم يتغافل عن كثير من المباحات التي لا مضرة فيها، مما لا يحبها، فلن يقدر أن يعيش مع الناس في سلام دائم، ووئام مستمر، وإن كان الدوام على حال من المحال.

قال ابن الوردي:

تجنَّبْ أصدقاءَكَ أو تغافَلْ ... لهمْ تظفرْ بودهمُ المبينِ
وإنْ يتكدّروا يوماً فَعُذْراً ... فإنَّ القومَ منْ ماءٍ وطينِ

قال شهاب الدين الخفاجي:

تَغافَلْ إذا رُمْتَ وُدَّ الورَى ... يدُوم فتُصْبحُ لِلْعِزِّ جارَا
زِمامُ المُروءةِ في كَفِّ مَن ... تَغافُلَه يمْتطِي حيثُ سَارَا

قال الشريف المرتضى:

فَما نالَ المُنى فــي العَيشِ إلا　　غَبِــيُّ القَــومِ أَو فطــنٌ تغابى

بل إن الإنسان يحتاج أن يعيش في سلام داخلي مع نفسه، وهذا غالبــاً لا يســتقيم إذا كان المرء فــي ضغوط نفســية، كمثل وجود خصومات مع الناس، أو مشــاجرات، أو شحناء، وكذلك من يحمل الأمور دائمــاً ما لا تحتمل، ويفســر كلام الناس علــى غير وجهه، ويحمله على غير محملــه، وكذلك من يدقق في كل كبيرة وصغيرة، مما يمكن التغافل فيها، فمثل هذا كيف يشــعر بالراحة، أو السعادة، وهو يعيش في كل هذه الأجواء، فأنفع علاج له هو التغافل والتغابي، ولو تكلف ذلك.

قال حمدون السلمي:

تَغَافَل وَلا تَسمَع سِوَى مَا يَسُرُّك　　وَمِل جَانِباً عَــن كُلِّ أمرٍ يَضُرُّك

فَدَهــرُكَ فِيمَــا قَد يَسُــرُّ قَطَعتَهُ　　فَلَا يَنقَطِع فِي الهَمِّ وَالغَمِّ دَهرُك

وَعُمــرُكَ مَا أمضَيتَهُ فِــي عِبَادَةٍ　　فَلَا يَمضِ إِلَّا فِي العِبَادَةِ عُمرُك

وانظر إلى حال النبي ﷺ في تعامله مع أصحابه، بل ومن يخدمه ممن يحتك بهم كثيــراً، وهم عرضة لوقوع الخطــأ منهم، عن أنس قال: خدمت رســول الله ﷺ عشــر سنين لا والله ما ســبني سبة قط، ولا قال لي أفٍّ قط، ولا قال لي: لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته »، وعن أنس قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن تسع

سنين فانطلقت بي أم سليم إلى نبي الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابني استخدمه، فخدمت النبي ﷺ تسع سنين، فما قال لي لشيء فعلته لم فعلت كذا وكذا، وما قال لي لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا وكذا، وأتاني ذات يوم وأنا ألعب مع الغلمان، أو قال مع الصبيان، فسلم علينا ودعاني فأرسلني في حاجة، فلما رجعت قال: لا تخبر أحداً، واحتبست على أمي، فلما أتيتها قالت يا بني: ما حبسك، قلت: أرسلني رسول الله ﷺ في حاجة له، قالت: وما هي؟ قلت: إنه قال: لا تخبر بها أحداً، قالت: أي بني فاكتم على رسول الله ﷺ سره»[(١)].

لذلك لا تدقق كثيراً في كل شيء فتتعب، وتتعب من معك، اجعل التغافل ميزانك، ولا تقف إلا عند الخطأ الواضح، أو الأمور الكبيرة، أو الانحراف البين، فيكون لكلامك وقع وتأثير، بل ويكون لك هيبة في أثناء المراجعة والمحاسبة، أما من يكثر التدقيق في كل شيء يفقد هيبته بمرور الوقت؛ فيستوي عند المخاطب كلامه في قوي الأمر وضعيفه، في صغيره وكبيره، في دقيقه وجليله، فلا يدري أيها ذو أهمية منها.

وهذا هو منهج النبي ﷺ فكان يترك أموراً كثيرة لا يسأل عنها، ولا يدقق فيها، إلا أن يكون خطأً أو انحرافاً، فيوضحه، ولا يسكت عنه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج

---

(١) رواهما أحمد وغيره.

النبي ﷺ يســألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبــروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله لــه ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النســاء فــلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النســاء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

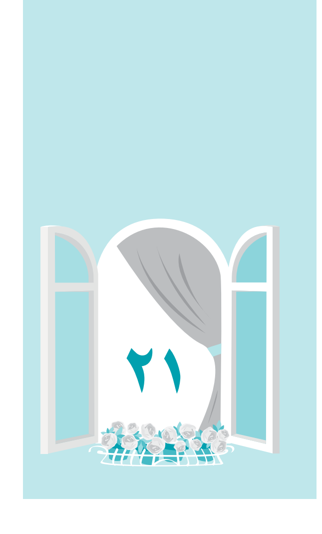
١ ـ ركز على خطوات المقدمة.

٢ ـ إذا شئت أن ترتاح من الناس حقاً ومن كثير من أحداث الحياة فتغافل لأن هذا هو الطريق الأمثــل والأمر بيدك فإما أن تعيش ســعيداً ولا يكدرك حتى الوقائع العظيمة، وإما أن تدمر نفسك على أتفه الأســباب والخيار لك ولك وحدك فقط فليس هناك من يملي عليك شيئاً أو يرغمك عليه.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من تغافل ساد ومن ساد قاد)

(١) رواه البخاري.



نفع الناس

وهي غير الإحسان إليهم وغير حسن المعاملة وإن كان بينهم تداخل وتشابه والنفع للناس تتعدد طرقه وتختلف صوره أقوالاً وأفعالاً

وعن ابن عمر أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله وأي الأعمال أحب إلى الله فقال رسول الله ﷺ أحب الناس إلى الله ﷻ أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا في مسجد المدينة ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام رواه الطبراني في الثلاثة[1].

(١) مجمع الزوائد (١٩١/٨) وفيه ضعف.



قال أبو العتاهية:

عِيالُ اللهِ أَكرَمُهُم عَلَيهِ أَبَثُّهُمُ المَكارِمَ في عِيالِه

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه(١).

احذر أن تكون صديقا لا نفع منه فلا يرجى الصديق إلا للملمات والمدلهمات ونوائب الدهر وتقلبات الزمن.

قال ابن الرومي:

ولي أصدقاء كثيرو السلام علـيَّ وما فيهم نافعُ
إذا أنا أدلجت في حاجة لها مطلب نازحٌ شاسعُ
فلي أبداً معهم وقفة وتسليمة وقتها ضائع

ومن صور نفع الخلق: ما هو نفع للفرد وإن كان ظاهره مضادة

---

(١) رواه مسلم.

له (عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رســـول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تأخذ فوق يديه)[١].

فنصرة الظالم في ردعه عن ظلمه لئلا يزيد في طغيانه ويزداد في إثمه. قال الحافظ: «قال ابن بطال النصر عند العرب الإعانة وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشـــيء بما يئول إليه وهو من وجيز البلاغة قـــال البيهقي معنـــاه أن الظالم مظلوم في نفســـه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى»[٢].

ومن الصور: النفع لصالح الجماعـــة الكبرى ولو كان في ظاهره ردع الفرد أو الجماعة الأقل عن النعمان بن بشـــير ﷺ عن النبي ﷺ قال مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على ســـفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أســـفلها فـــكان الذين في أسفلها إذا اســـتقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنـــا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهـــم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا[٣].

ومن صور نفع الخلق: إتقان العمل، وإحكام الصنعة، عن عائشة

---

(١) رواه البخاري
(٢) فتح الباري (٩٨/٥)
(٣) رواه البخاري

أن رسول الله قال إن الله ﷻ يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه[١].

قال المنـــاوي: «إذا عمل أحدكم عملا فليتقنــه أي فليحكمه فإنه أي الإتقان.... مما أي.... يســلي بضم اليـــاء....... ما في النفس من الحزن»[٢].

وقال: «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم أيها المؤمنون عملاً أن يتقنه أي يحكمه كما جاء مصرحا به في رواية العسكري فعلى الصانع الذي استعمله الله في الصور والآلات والعدد مثلا أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحســـان بقصد نفع خلق الله الذي استعمله في ذلك ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضـــاع ولا على مقدار الأجرة بل على حســـب إتقان ما تقتضيه الصنعة كما ذكـــر أن صانعا عمل عملا تجاوز فيه ودفعه لصاحبه فلم ينم ليلته كراهة أن يظهر من عمله عملا غير متقن فشرع في عمل بدله حتى أتقن ما تعطيه الصنعة ثم غدا به لصاحبه فأخذ الأول وأعطاه الثاني فشكره فقال لم أعمل لأجلك بل قضاءاً لحق الصنعة كراهة أن يظهر مـــن عملي عمل غير متقن فمتى قصر الصانع في العمل لنقـــص الأجرة فقد كفـــر ما علمه الله وربما سلب الإتقان تنبيه ما ذكر في شرح هذا الحديث هو ما لبعض الأئمة لكني رأيت فـــي رواية ما يدل علـــى أن المـــراد بالإتقان الإخلاص

(١) رواه الطبراني في الأوســـط وأبو يعلي وفـــي الحديث مقال، قال فـــي مجمع الزوائد (٩٨/٤) وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان وضعفه جماعة.

(٢) فيض القدير(٤٠٥/١)

ولفظها إن الله لا يقبل عمل امرئ حتى يتقنه قالوا يا رسول الله وما إتقانه قال يخلصه من الرياء والبدعة « البيهقي عن عائشة»[١].

ومن صور نفع الخلق: عدم الغش في كل شيء، عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ قال من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا[٢].

وذلك لأن المسلمين نصحة لا غششة.

ومعنى قوله: «ليس منا من غش وفي رواية من غشنا أي لم ينصح من استنصحه وزين له غير المصلحة فمن ترك النصح للأمة ولم يشفق عليهم ولم يعنهم بنفسه وما بيده فكأنه ليس منهم إلا تسمية وصورة»[٣].

قال أبو الفتح البستي:

وكُنْ على الدَّهــر مِعواناً لذي أمَلٍ   يَرجـو نَداكَ فـإنَّ الحُـرَّ مِعْوانُ
مَـنْ كانَ للخَيرِ مَنّاعـاً فليسَ لَهُ   على الحَقِيقَـةِ إخـوانٌ وأخْدانُ

وأخرج أحمد وأبو نعيم في فضل العلم والبيهقي عن أبي ذر أنه قال يا رسول الله من أين نتصدق وليس لنا أموال قال إن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله

(١) فيض القدير (٢/٢٨٦ - ٢٨٧)
(٢) رواه مسلم.
(٣) فيض القدير (٥/٣٨٧).

وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوك عن طريق الناس والعظم والحجر وتهدي الأعمى وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها وتسعى بشدة ذراعيك مع الضعيف وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك ولك في جماعك زوجتك أجر قال أبو ذر كيف يكون لي أجر في شهوتي فقال رسول الله ﷺ أرأيت لو كان لك ولد فأدرك فرجوت أجره فمات أكنت تحتسب به قلت نعم قال فأنت خلقته قلت بل الله خلقه قال فأنت هديته قلت بل الله هداه قال فأنت كنت ترزقه قلت بل الله كان يرزقه قال فكذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر[١].

ومن صور نفع الخلق: تعليم الناس الخير عن أبي أمامة إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير[٢].

ومن صور النفع بذل الوجاهات والسعي في الشفاعات، عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ من كان وصله لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط عند

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨٥/٢).

(٢) رواه الطبراني والضياء.

دحض الأقدام رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه إبراهيم بن هشام النسائي وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره[١].

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه وكان النبي ﷺ جالسا إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا تؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء[٢].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ ركز على الثلاث الخطوات الواردة في المقدمة.

٢ ـ تذكر أنك تقوم في مقام الله مع الخلق «الناس عيال الله» قال عبدالملك بن مروان يا بني أمية ابذلوا نداكم وكفوا أذاكم واعفوا إذا قدرتم ولا تبخلوا إذا سئلتم فإن خير المال ما أفاد حمدا أو نفى ذما ولا يقولن أحدكم ابدأ بمن تعول فإنما الناس عيال الله قد تكفل الله بأرزاقهم فمن وسع أخلف الله عليه ومن ضيق ضيق الله عليه وهذه وحدها تكفيك لأن تحسن استعمال هذه النافذة.

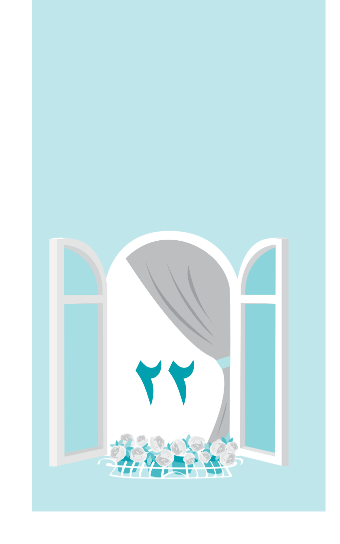
لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من نفع الخلق أحبوه وفي القلوب وضعوه وعلى الرؤوس حملوه)

---

(١) مجمع الزوائد (١٩١/٨)

(٢) رواه البخاري.



٢٢ الاهتمام بأمور المسلمين

إن الاهتمام بالمسلمين يترجم الأخوة الحقة التي جعلها الله سبحانه الرابطة الوثيقة بينهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

بل ويبرهن على عمق الولاية فيما بينهم، وأنها قائمة على اهتمام كل واحد منهم بأخيه، على أساس التناصح وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

قال أبو علي الحسن الغوري كنت في بعض المواضع فرأيت زورقاً فيها دنان مكتوب عليها لطيف فقلت للملاح أيش هذا فقال أنت صوفي فضولي وهذه خمور المعتضد فقلت له أعطني ذلك المدرى فقال لغلامه أعطه حتى نبصر أيش يعمل فأخذت المدرى وصعدت الزورق فكنت أكسر دنا دنا والملاح يصيح حتى بقي واحد فأمسكت فجاء صاحب السفينة فأخذني وحملني إلى المعتضد وكان

ســيفه قبل كلامه فلما وقع بصره علي قال من أنت قلت المحتسب قال من ولاك الحســبة قلت الذي ولاك الخلافة قال لم كسرت هذه الدنان قلت شفقة عليك إذا لم تصل يدي إلى دفع مكروه عنك قال فلم أبقيت هذا الواحد قلت إني لما كســرت هــذه الدنان فإني إنما كســرتها حمية في دين الله فلما وصلت إلى هذا أعجبت فأمســكت ولو بقيت كما كنت لكســرته فقال اخرج يا شيخ فقد وليتك الحسبة فقلت كنت أفعله لله تعالى فلا أحب أن أكون شــرطياً. وأما الشــفقة على المسلمين فلأن الإنسان يجب أن يكون رقيق القلب مشفقاً على أبناء جنسه وأي شــفقة أعظم من أن يرى جمعاً يتهافتون على النار فيمنعهم منها[١].

ومــن أعظم صــور الاهتمام بالمســلمين، وأوضــح معالم هذا الاهتمام، النصح لهم وعدم غشــهم، فمن غشهم فليس بمهتم بهم، وهذا لن يجد إلى قلوبهم مدخلاً، ولا إلى محبتهم ســبيلاً عن أبي هريرة أن رســول الله ﷺ قال من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا[٢].

قال المنــاوي: ليس منا من غــش وفي رواية من غشــنا أي لم ينصح من اســتنصحه وزين له غير المصلحة فمن ترك النصح للأمة

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٢/٩١ - ٩٢).
(٢) رواه مسلم.

ولم يشفق عليهم ولم يعنهم بنفسه وما بيده فكأنه ليس منهم إلا تسمية وصورة[١].

إن من طبيعة الارتباط الإسلامي والانتماء الديني الاهتمام بأمر الجماعة الكلية الإسلامية لأن صلاح الفرد مرتبط بصلاح الجماعة ولا يتم صلاح الجماعة إلا بصلاح الفرد لشدة الارتباط الوثيق بينهما عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من أصبح وهمه غير الله فليس من الله ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم[٢].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمسي ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي ضعفه محمد بن حميد ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان[٣].

وعلة ذلك ما جاء في حديث أنس عن النبي ﷺ قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه[٤].

إن الجماعة الإسلامية الكبرى في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها مكونة من أفراد منضوين تحت لواءها رافعين لشعارها

(١) فيض القدير (٣٨٧/٥).
(٢) رواه الحاكم وأبو نعيم في الحلية وهو ضعيف.
(٣) مجمع الزوائد (٨٧/١).
(٤) رواه البخاري ومسلم.



مرتبطين بعضهم ببعض برباط وثيق متلاحم كمثل أجزاء الجسم بالنسبة للبدن كله عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى(١).

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه(٢).

إن التنافر الحاصل اليوم بين المسلمين والتمزق والتفرق على أساس المناطقية والمذهبية الحقة والأنساب والقوميات مما يضعف المسلمين فردا وجماعة ويجعلهم في مؤخرة الركب وهذا هو الحاصل في واقعنا اليوم ولن نرجع لسابق عهدنا إلا بالتلاحم والتوحد والاجتماع على أساس الدين والدين فقط.

قال الطغرائي:

كونُوا جميعَاً يا بَنِـيَّ إذا اعتَرى   خَطْـبٌ ولا تتفرقُـوا آحـادَا
تأبَى القِداحُ إِذا اجتمعْنَ تكسُّـراً   وإِذا افترقْـنَ تكسَّـرتْ أفـرادَا

قال صردر بن صربعر:

أضـدَّانِ فـي جسـدٍ واحـدٍ   مقيمـان قـد جعـلاه قَـرارا
دمـوعٌ مـن العيـن فيّاضـةٌ   ووَقدٌ من القلب يَرمِى شَـرارا
كأنِّى مـن السُّـحُبِ السـاريا   ت يَحمِلـنَ فيهـنَّ مـاءً ونارا

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

وقال أخر:

بحثت عن الأديان في الأرض كلها وجبت بلاد الله غربا ومشــرقا
فلم أرى كالإســلام أدعى لألفة ولا مثــل أهليــه أشــد تفرقــا

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

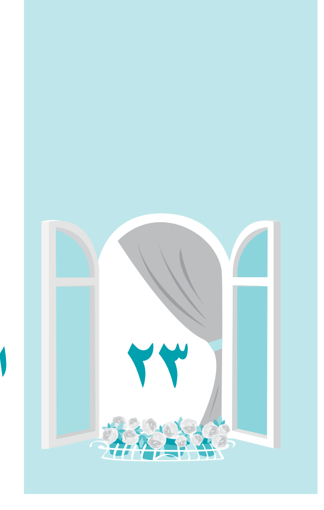
١ ـ اعلم أنك جزء من الجسد الواحد ولا قيام لك إلا بكل الجسد فإن بقيت وحدك بقيت معطلاً.

٢ ـ توحدك مع المســلمين مصدر قوتك إذا شــئت القوة فالإنسان ضعيف بنفسه قوي بإخوانه.

٣ ـ كن لبنة فــي بناء الوحــدة والتئام الصف الإســلامي ولا تكن معولاً للهدم فالجماعة قوة لا يقدر على غلبتها.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(المسلمون كالجسد الواحد وكل عضو مرتبط بأخيه ولا يقدر على تناسيه)



٢٣ احترام الآخر وتقديره وإنزال الناس منازلهم

فاحترام المسلم لكونه مسلماً ولا اعتبار لأي شيء آخر من لون أو جنس أو لغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

وغير المسلم يحترم لإنسانيته ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠] ما لم يكن محارباً لنا بأي وسيلة أو نوع من أنواع المحاربة وما لم يمكر بنا أو يتآمر علينا أو يناصر عدونا علينا بأي وسيلة.

وقد ترجم أبو داود باب في تنزيل الناس منازلهم: عن ميمون بن أبي شبيب أن عائشة عليها السلام مر بها سائل فأعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل فقيل لها في ذلك فقالت قال رسول الله ﷺ أنزلوا الناس منازلهم قال أبو داود وحديث يحيى مختصر قال أبو داود ميمون لم يدرك عائشة.

عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ إن من إجلال الله

إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط(١).

قال في عون المعبود: أي عاملوا كل أحد بما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف قال العزيزي والمراد بالحديث الحض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام وغير ذلك من الحقوق(٢).

وجاء رجل إلى علي فقال يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة قد رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك فقال علي اكتب على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك فكتب إني محتاج فقال عليَّ بحلة فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ولست تبغي بما قد قلته بدلا
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في خير توافقه فكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال علي عليَّ بالدنانير فأتي بمائة دينار فدفعها إليه قال الأصبغ فقلت يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار قال نعم سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) عون المعبود (١٣/١٣١).

يقول أنزلوا النــاس منازلهم وهذه منزلة هذا الرجــل عندي «رواه أبو موسى المديني في كتاب استدعاء اللباس من كبار الناس»[١].

قال صاحــب المرقاة: ولكل أحد مرتبة ومنزلــة لا يتخطاها إلى غيرها فالوضيع لا يكون في موضع الشــريف ولا الشريف في منزل الوضيع فاحفظــوا علــى كل أحد منزلته ولا تســوّوا بيــن الخادم والمخدوم والسائد والمســود وأكرموا كلاً على حسب فضله وشرفه وقد قال تعالى ورفعنــا بعضهم فوق بعض درجات وقال عزّ من قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وهذا الحديث مبدأ فهم أقوال العلماء في تفاضل الأنبياء وتفضيل البشر على الملك وتفضيل الخلفاء وأمثال ذلك من المباحث[٢].

قال الشريف المرتضى:

فأين وأحــوالُ الرّجالِ شــتائتٌ مقــامُ عزيــزٍ مــن مقــامِ ذليلِ

ومعرفة مقام كل شــخص من أدبيات ديننا وأخلاقه الحسنة، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنــا ويعرف لعالمنــا » وعن عبد الله بن عمــر ويبلغ به النبي ﷺ قال ليس منا من لــم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا هذا حديث صحيح على شرط مسلم[٣].

(١) كنز العمال (٢٦٨/٦).

(٢) مرقاة المفاتيح (١٩٨/٩).

(٣) رواهما الحاكم.

عن عكرمة عن بن عباس رفعه إلى النبي ﷺ قال ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر[1].

ومن الأمور المهمة في ذلك احترام المراجعين وقت العمل وفي الدوام الرسمي والحرص على أوقات الناس وعدم الانشغال عنهم بما لا يهم فضلاً عما هو ممنوع قانوناً أصلاً، فإنك بهذا تدخل إلى قلوبهم، وتكسب احترامهم، لأن من يظهر الاحترام يعامل بمثله، وهذا أمر مشاهد معلوم.

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ تذكر ما سبق من خطوات المقدمة.

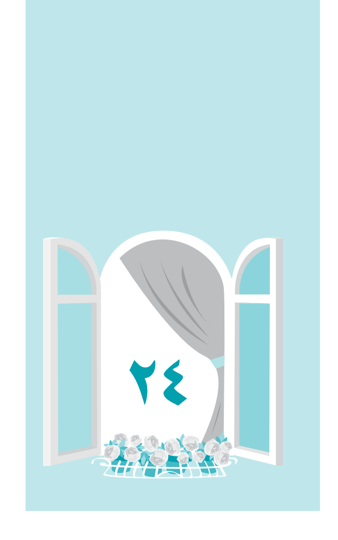
٢ ـ اعلم أنك إذا أردت أن تحترم من غيرك فاحترم ذلك الغير وإلا فلا تنتظر منهم معاملة غير المعاملة التي تعاملهم بها.

٣. لا بد أن تبرمج نفسك أنك بمقدار احترامك للناس تبرهن لهم مقدار احترامك لنفسك فهل أنت محترم لنفسك حقاً هذا هو ما ستبرهن عليه في تعاملك.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(احترامك للآخرين عنوان احترامك لنفسك)

(١) رواه ابن حبان.



الحوار الهادف البناء

وإذا كان الله تعالى قد أرشد إلى هذا الخلق في التعامل مع أهل الكتاب فما بالك بأهل الإسلام وإن خالفوك ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

لقد امتدح الله تعالى نبيه ﷺ بحسن القول وعدم فظاظته ورتب على ذلك أن استمالت قلوب الناس إليه ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وأنت ترى في هذه الآية أن الله تعالى قد جعل المشاورة من مكملات الرحمة ونتائجها وأن المشاورة الهادفة تعمق هذه الرحمة واللين.

لقد جعل الله تعالى الحوار القائم على الشورى والتشاور من صفات أهل الإسلام ليجدوا طريقهم للإبداع في هذه الحياة فكل إنسان عنده من العلم والمعرفة والفهم والابتكار والإبداع ما ليس عند الآخرين ولا يستخرج ذلك عادة إلا بالحوار والتشاور والنقاش

الجاد المثمر البناء وهذا ما يوطد العلاقات الحميمية بين المسلمين ويفتح قلــوب بعضهم لبعــض ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [الشُّورى: ٣٨].

إنك بالحوار والتشــاور مع الآخرين تكسب عقولهم إلى عقلك وقد قالوا من شاور الرجال شاركها في عقولها وإياك واعتمادك على عقلك وحده فإنه قد يخطأ ويزل.

قال ابن الرومي:

وافْزعْ إلى شُــورى الرجالِ فإنها لفســاد رأيك حين يفســدُ نافيه
لا ترضينَّ برأي نفسِــك وحدها فلــرُبَّ خافيــةٍ عليــك وخافيه

إن الحوار الهادف والتشاور البناء هو طريق السابقين من حولك فاسلك هذا الطريق ولا تنأ عنه ولا تستبدل به غيره فلنعم الطريق هو مرشد للخير ومنير للدروب وفاتح للقلوب ومسدد للنجاح

قال ابن شيخان السالمي:

هذي هي السَّــهلة البيضاء أنتَ لها محيي ولا غَرْو إن أحييت ما سبقا
الأمر شــورى وللآراء مجتمع وعقلك المحض معيار لها فرقا

ولقد كان هذا الأمر واضحاً في ســيرته ﷺ وكان الحوار الهادف منهج فــي تعامله مع أصحابه بل لم يكــن أصحابه يرون حرجا من إبداء الرأي والمشورة حتى لو خالف ذلك ما رآه النبي ﷺ ومن ذلك

« أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر نزل على أدنى ماء هناك أي أول ماء وجده فتقدم إليه الحباب بن المنذر فقال يا رسول الله هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلك الله إياه فليس لنا أن نجاوزه أو منزل نزلته للحرب والمكيدة فقال بل منزل نزلته للحرب والمكيدة فقال يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل ولكن سر بنا حتى ننزل على أدنى ماء يلي القوم ونغور ما وراءه من القلب ونستقي الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء فسار رسول الله ﷺ ففعل كذلك وفي مغازي الأموي أن الحباب لما قال ذلك نزل ملك من السماء وجبريل جالس عند رسول الله ﷺ فقال ذلك الملك يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن الرأي ما أشار به الحباب بن المنذر فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام فقال هل تعرف هذا فنظر إليه فقال ما كل الملائكة أعرفهم وإنه ملك وليس بشيطان[(١)].

بل لقد تجلى هذا الأمر بصورة رائعة لا مثيل لها في التاريخ وذلك في سقيفة بني ساعدة حال تنصيب خليفة للمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ عندما «اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٩٣).

أعجبني خشـيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبـو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه نحـن الأمراء وأنتم الـوزراء فقال حباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أميـر فقال أبو بكر لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح فقال عمر بل نبايعك أنت فأنت سـيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس.

وعن عمر قال « .... ثـم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول والله لو قد مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا وإنهـا قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي تابعه تغرة أن يقتلا وإنه قـد كان من خبرنا حين توفـى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسـرهم في سقيفة بني سـاعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء مـن الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا أين تريدون يا معشـر المهاجرين فقلنا نريـد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقـالا لا عليكم أن لا تقربوهـم اقضوا أمركـم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل

بين ظهرانيهـــم فقلت من هذا فقالوا هذا ســعد بن عبادة فقلت ما له قالوا يوعك فلما جلسنا قليلا تشــهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثــم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإســلام وأنتم معشــر المهاجريــن رهط وقد دفــت دافة مــن قومكم فإذا هــم يريدون أن يختزلونا من أصلنــا وأن يحضنونا من الأمر فلما ســكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحــد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رســلك فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمــة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى ســكت فقال ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هــذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوســط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شــئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهــو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرهــا كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهــم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن فقال قائل من الأنصار أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش فكثر اللغــط وارتفعت الأصوات حتى فرقــت من الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبســط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم

بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة فقلت قتل الله سعد بن عبادة قال عمر وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا[1].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ انظر الثلاث الخطوات في صدر الكتاب.

٢ ـ استعمل الحوار الهادف والبناء والمشاورة مع أهلك أولاً لأنهم أهل ودك وأنصح لك وأنت تسعى لنفعهم، ثم انطلق بعد ذلك.

٣ ـ بالحوار والمشاورة تشارك الناس في عقولها فيظهر لك ما خفي عنك مما أردته فتصحح وتقوم وتعدل ما عندك.

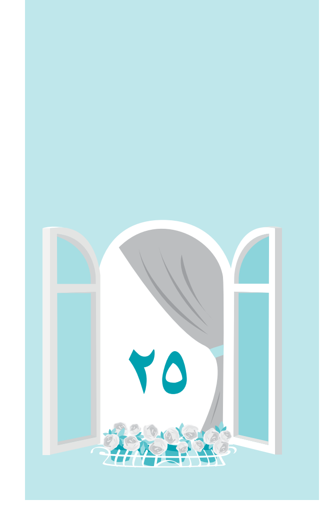
٤ ـ الأمر إليك فإما أن تكون بناءاً أو هداماً وأغلب ذلك يكون نتيجة طبيعة الحوار الذي يتم.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(تميز وكن بناءً في حوارك فالأغلبية تحسن الهدم)

---

(١) رواهما البخاري.



حب لأخيك
ما تحبه لنفسك

إن هـــذا الأمر من كمـــال الإيمان وحســـنه وتمامـــه على الوجه الأكمل والمقام الأعلى عن أنس عـــن النبي ﷺ قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه(١).

وهـــذا إنما يدل على طيبـــة قلب صاحبه وحســـن تدينه ومحبته للمسلمين وهذا يترجم عن عمق الأخوة للمسلمين في قلبه ومن كان قلبه كذلـــك فتح الله تعالى لـــه قلوب العالمين ولا بـــد فالجزاء من جنس العمل

قال النووي: قال العلمـــاء رحمهم الله معناه لا يؤمن الإيمان التام وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكـــن بهذه الصفة والمراد يحب لأخيه من الطاعات والأشـــياء المباحات ويدل عليه ما جاء في رواية النسائي في هذا الحديث حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح وهذا قد يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك إذ معناه لا يكمـــل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في

---

(١) رواه البخاري ومسلم.



الإسلام مثل ما يحب لنفسه والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئا من النعمة عليه وذلك سهل على القلب السليم وإنما يعسر على القلب الدغل عافانا الله وإخواننا أجمعين[١].

قال المناوي: فمن قصره على كف الأذى فقد قصر ولا حاجة لقول البعض هو عام مخصوص إذ المرء يحب لنفسه وطء حليلته لا لغيره والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدينية والدنيوية وتخرج المنهيات لأن اسم الخير لا يتناولها والمحبة إرادة ما تعتقده خيرا قال النووي المحبة الميل إلى ما يوافق المحب وقد يكون بحواسه كحسن الصورة أو بعلته أو بعقله إما لذاته كالفضل والكمال أو لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر والمراد هنا الميل الاختياري دون القهري ما يحب لنفسه من ذلك وأن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من السوء ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم بغض نقيضه وذلك ليكون المؤمنون كنفس واحدة ومن زعم أن هذا من الصعب الممتنع غفل عن المعنى المراد وهو أن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها كما تقرر وبه دفع ما قيل هذه محبة عقلية لا تكليفية طبيعية لأن الإنسان جبل على حب الاستئثار فتكليفه بأن يحب له ما يحب لنفسه مفض إلى أن لا يكمل إيمان

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/٢ - ١٧).

أحد إلا نــادرا وذكر الأخ غالبي فالمســلم ينبغــي أن يحب للكافر الإسلام وما يترتب عليه من الخير والأجر ومقصود الحديث انتظام أحوال المعاش والمعاد والجري على قانون السداد واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وعماد ذلك وأساسه السلامة من الأدواء القلبية كالحاسد يكره أن يفوقه أحد أو يســاويه في شيء والإيمان يقتضي المشــاركة في كل خير من غير أن ينقص على أحد من نصيب أحد شــيء نعم من كمال الإيمان تمني مثل فضائله الأخروية الذي فات فيها غيره وآية لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض نهي عن الحســد المذموم فإذا فاقه أحد في فضل ديــن الله اجتهد في لحاقه وحزن على تقصيره لا حسدا بل منافسة في الخير وغبطة ......

وسبب هذا الحديث كما خرجه الطبراني عن أبي الوليد القرشي قال كنت عند بلال بن أبــي بردة فجاء رجل مــن عبدالقيس وقال أصلح الله الأمير إن أهــل الطائف لا يؤدون زكاتهم وقد علمت ذلك فأخبرت الأمير فقال من أنت قال من عبدالقيس قال ما اســمك قال فلان فكتب لصاحب شرطته يسأل عن عبدالقيس فقال وجدته لعمر في حبســه فقــال الله أكبر حدثني أبــي عن جدي أبي موســى عن رسول الله .... فذكر الحديث(١).

إن حبك للناس ما تحبه لنفســك وإظهارك ذلك لهم مدخل إلى

(١) فيض القدير (٦/٤٤٢).

محبتك في المقابل بل والتجاوز عن هفواتك معهم لما يعلمونه من محبتك لهم مسبقا وخالص نصحك لهم وشفقتك عليهم وإن أخطأت يوما أو هفوت أو قصرت

قال ابن الأبار:

حَسْبِيَ شَفيعاً لك في هَفْوَتي ... حُبّ ونُصْحٌ وثَنَاءٌ صُراح
لا زِلْتَ والزّلاتُ شَأنُ الوَرَى ... تَهْتَزُّ للصَّفْحِ اهْتِزازَ الصِّفَاح

ابذل حبك للناس وبادلهم حبّاً بحب ومودة بمودة عند ذلك تشعر بلذة الحياة وطعم السعادة الرائع وإلا فستخسر كثيراً من لحظات الهناء

قال ابن زيلاق:

ولقد بذلك لك المحبة جاهداً ... في بذلها لو كان حب ينفع
وتوقعت روحي ثواب ودادها ... فأثبتها بخلاف ما تتوقع
وإذا الفتى قلت عناية حظه ... كانت محبته ذنوباً أجمع

وقد قالوا: ليس الرجل من يعيش لنفسه لكن الرجل من يعيش لأمته مع نفسه ومحبتك للآخرين ما تحبه لنفسك من صميم العيش للآخرين فتستكمل بذلك مقومات الرجولة وليس هذا حكرا على الرجال بل وللنساء كذلك وتستكمل به المرأة فضيلتها وكمالها كما جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

كمل من الرجال كثيــر ولم يكمل من النســاء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[١].

أخلص فــي حبك للناس وليكن ذلك لأجــل الله تعالى فإنه من أوثق عرى الإيمــان عن البراء قــال قال رســول الله ﷺ أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله[٢].

قال حسن الطويراني:

وَلَــــم يَــكُــن لَــــكَ حُـبـي ... لـــريــبـــة أَو ريـــاء
وَقَـــــد عــلــمــت وِدادي ... وَقـــــد رأيــــت أَخــائــي
جــرّبــتــنــي فـــي شــؤونــي ... وَشـــــدّتــــي وَرَخــــائــــي
وَاللهَ يَـــشـــهـــد حَــقــاً ... بِـــمـــا أَكــــــنّ حــشــائــي

بل إن محبة الناس لله مما توجد في قلب صاحبها حلاوة الإيمان التــي تحلو به الحياة وتتم به الســعادة عن أنس عــن النبي ﷺ قال ثلاث من كــن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورســوله أحب إليه مما ســواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار[٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه ابن أبي شيبة.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

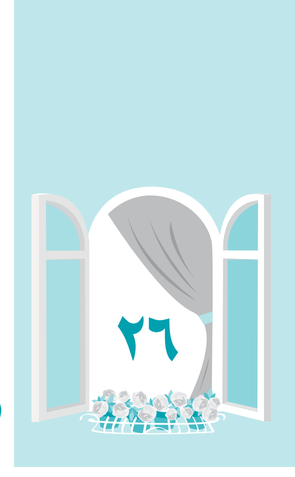
١ ـ إذا كنت تسعى حقيقة لزيادة إيمانك فهذه نافذة مهمة تُفتح لك لتسلكها.

٢ ـ عندما تعمل في هذه النافذة تخيل أن المقابل سيكون في صالحك لأنه سيحب لك أيضاً ما يحبه لنفسه.

٣ ـ عليك أن تعلم أنه من الخطوات الأساسية للسعادة الحقيقية أن تحب للخلق أن يعيشوا في سعادة حتى تشترك معهم في ذلك.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من كمال إيمانك حبك لأخيك ما تحبه لنفسك)



العفو والتجاوز والصفح وغفران الزلات وإقالة العثرات

إن العفو والتجاوز من شيم الكرام ولا يقدر عليها إلا واسع القلب رحيمه طيب الأصل والخلق ولذلك أرشد الله إليه ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النــور: ٢٢] ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

بل قد جعل العفــو والصفح والتجاوز من إحــدى صفات عباد الرحمــن ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال علي بن الجهم: ونسب لغيره.

وَمَن ذا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كُلُّها كَفى المَــرءَ نُبلاً أَن تُعَــدَّ مَعايِبُهْ

وهذه الأخلاق الفاضلة من أبرز شيم المصطفى ﷺ كيف لا وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة فهذا النبي ﷺ حين دخلها ـ أي مكة ـ وقف على باب الكعبــة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شــريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحــده ثم قال يا أهل مكة



ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله ﷺ وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأً ولذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الإسلام.

قال المناوي: كان رحيما حتى بأعدائه لما دخل يوم فتح مكة على قريش وقد أجلسوا بالمسجد الحرام وصحبه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره قال ما تظنون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء قال ابن عربي فلا ملك أوسع من ملك محمد فإن له الإحاطة بالمحاسن والمعارف والتودد والرحمة والرفق وكان بالمؤمنين رحيما وما أظهر في وقت غلظة على أحد إلا عن أمر إلهي حين قال له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فأمر بما لم يقتضي طبعه ذلك وإن كان بشرا يغضب لنفسه ويرضى لها[(١)].

وفي قصة ثمامة بن أثال عن أبي هريرة ﷺ قال بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم

---

(١) فيض القدير (١٧١/٥).

وإن تنعم تنعم على شـــاكر وإن كنت تريد المال فسـل منه ما شئت فترك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك إن تنعم تنعـم على شـاكر فتركه حتـى كان بعد الغد فقـال ما عندك يا ثمامة فقال عندي ما قلت لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رســول الله يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي مـن وجهك فقد أصبح وجهـك أحب الوجوه إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي والله ما كان مـن بلد أبغض إلي من بلـدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتنـي وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشـره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسـلمت مع محمد رســول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ(١).

وهذه أمور لازمة لتيسير الحياة بين الناس وخاصة مع أهل العلم والدين والرئاسـة والوجاهة والمروءة وقد ترجم ابن حبان ذكر الأمر بإقالة زلات أهل العلم والدين

عن عائشة قالت قال رســول الله ﷺ أقيلوا ذوي الهيئات زلاتهم وعند أبي داود عن عائشـة رضي الله عنها قالت قال رســول الله ﷺ أقيلوا ذوي

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الهيئات عثراتهم إلا الحدود[١].

وما هذا الأمر في التعامل مع هؤلاء إلا لأن الخطأ أو الزلل يقع منهم على ندرة وغلبة لأنه ليس من صفاتهم ولا من أخلاقهم ولا من طبائعهم ولذلك قالوا لكل جواد كبوة ولكل فارس صبوة

وقالوا: إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل

بل هذا أمر مطلوب مع كل مسلم فإنه من حسن البر وغاية الإحسان إلى الخلق وهو مدخل لتملك قلوبهم وقد رتب عليه الأجر الجزيل يوم القيامة فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من أقال مسلما عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة[٢].

بل إن العفو والتجاوز مطلوب حتى مع من يخطأ الخطأ الكبير مادام أن له السابقة في الخير والإحسان فلا ينكر فضله لزلة وقع فيها وخاصة لو كان له فيها عذر ظاهر وتأويل سائغ ولو أخطأ فيه فعن عبيد الله بن أبي رافع قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين

(١) رواه أبو داود وابن حبان.

(٢) رواه أحمد وابن حبان.

الثيـاب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسـول الله ﷺ فـإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسـول الله ﷺ فقال رسـول الله ﷺ يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلـت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسـلام فقـال رسـول الله ﷺ لقد صدقكـم قال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق قال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وعن علـي رضي الله عنه قال بعثني رسـول الله ﷺ والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي وكلنا فارس فقال انطلقوا حتـى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشـركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشـركين قـال فأدركناهـا تسـير على جمـل لها حيث قـال لنا رسـول الله ﷺ قال قلنا أين الكتاب الذي معك قالت ما معي كتاب فأنخنا بها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شـيئا قال صاحباي ما نرى كتابا قال قلت لقد علمت ما كذب رسـول الله ﷺ والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك قال فلما رأت الجد مني أهوت بيدها

إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الكتاب قال فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فقال ما حملك يا حاطب على ما صنعت قال ما بي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله قال صدق فلا تقولوا له إلا خيرا قال فقال عمر بن الخطاب إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فأضرب عنقه قال فقال يا عمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة قال فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم(١).

قال القائل:

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوماً أو قسط
واعلم بأنك إن طلبت ... مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياهُ كلّها ... كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه

قال أبو الفتح البستي:

(١) رواه البخاري ومسلم.

وإنْ أساءَ مُســـيءٌ فلْيَكنْ لكَ في عُــروضِ زَلَّتِــهِ صَفْــحٌ وغُفرانُ

عن أبي هريرةَ قال قال رســـولُ الله قال موســـى بن عمران عليه السلام يا ربِّ من أعزُّ عبادِك عندكْ قال من إذا قَدَر غَفَر[1].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ انظر ما سبق من الخطوات في مقدمة الكتاب.

٢ ـ أن تتيقن بأنك إن فعلت ذلك عن مقدرة لأجل الله تعالى قابلك الله بمثلها يوم حاجتك لذلك.

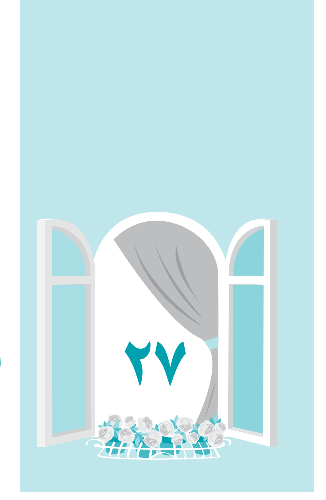
٣ ـ إن هذه أفعال الله سبحانه مع عباده وأحسن ما يتخلق به المسلم أفعال الله مع العباد.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من تذكر قدرة الله عند مقدرته فكفَّ فاز بمغفرته)

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.



المشاركة الجماعية في الأمور الدينية والاجتماعية

إن المشـــاركة مع الناس فيما يهمهم وفيمـــا يجتمعون عليه مثل العبادات والأفراح والأتراح واللقـــاءات والأعياد وغيرها مما يدخل المرء إلى قلوب الآخرين لأنهم يجدونه قريبا منهم مشـــاركا لهم في أمورهم وهذا أمر يحبـــب المرء كثيرا إلى الناس فمـــن عادة الناس محبة المخالط لهم وخاصة المخالطة بالموافقة.

وكما أن النـــاس تحب المشـــارك معها فيما يهمهـــا تبغض من لا يشـــاركها مع مقدرته ووجوده بينهم وتســـيء بـــه الظنون وتصفه بالكبر والتعالي عليها واحتقارهم.

وكما أن مشارك الناس فيما يهمهم مطلوبة لكن هذا الأمر مقيد بقيد عدم وجود مخالفات شـــرعية في هـــذه المخالطة وألا يكون الأمر الذي يشارك الإنسان فيه غيره به منكرات ومعاصي ومخالفات وإلا فإنه لا يجـــوز له مخالطتهم ومشـــاركتهم إلا من باب الإنكار عليهم ونصحهم وإرشادهم ولذلك نص الفقهاء على وجوب إجابة الدعوة إلـــى حفلة العـــرس بشـــروطها إلا إذا كان فيهـــا منكرات

ولا يقدر علــى إزالتها أو نصــح أهلها فلا تجب بــل يحرم عليه الذهاب حينئذ.

وعليه فإن من غاية الإحسان إلى الناس والبر بهم وإظهار الترابط معهم مشـــاركتهم في عاداتهم وأعرافهم الاجتماعية وتقاليدهم وكل ذلك مقيــد بالضوابط الشــرعية فالشــريعة هي حاكمة لكل شـــيء والعرف الذي لا يخالف الشريعة تقره الشريعة وتحث عليه.

إن المــرء الذي لا يشــارك الناس فــي أفراحهــم وأتراحهم في مســـراتهم وأحزانهم بعيد عن قلوبهم ولا ســبيل له بالدخول إليها ولذلك قالوا في المثل العامي البعيد عن العين بعيد من القلب.

عن ابن عمر قال قال رســول الله ﷺ المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظــم أجرا من المؤمن الــذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم(١).

وإن مشــاركة الناس في أمورهم قد تكون مدعــاة لدخولهم في الخير كنحو إســلام كافر أو توبة عاصي ونحــو ذلك فعن أنس رضي الله عنه قال كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمــرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له أســلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار(٢).

(١) رواه أحمد وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري.

فانظر إلى هذا الخلق الكريم من النبي ﷺ عندما شارك الغلام في مرضه بزيارته بل حتى أن أباه أمره بإطاعة أبي القاسم ﷺ مع معرفة العداء الشديد من اليهود للنبي ﷺ فأثمرت هذه الزيارة نجاة الغلام من النار.

بل وقد جعل الشرع الإسلامي العظيم مشاركة المسلم لأخيه المسلم في كثير من الأمور الاجتماعية والدينية من الحقوق الواجب التزامها وعدم الإخلال بها وذلك لملاحظة تعميق الترابط والتلاحم بين المسلمين وهو مدخل مهم جدا لعودة وحدتهم المطلوبة شرعا فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس(١).

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال حق المسلم على المسلم ست قيل ما هن يا رسول الله قال إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فسمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه(٢).

إن المشاركة مع الناس في أمور الحياة تتمثل في أشياء كثيرة جدا ومنها مشاركتهم في حل المشاكل التي تنشأ بينهم سواء كانت

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.

هذه المشاكل على المســـتوى الفردي أو الجماعي مشاكل صغيرة أو كبيرة ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النســـاء: ٣٥]، ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٤].

إن المشـــاركة للناس فـــي أتراحهـــم تتمثل بالمواســـاة والعزاء والمساعدة وكثيرة هي الأتراح التي يتعرض لها الناس ويحبون من يشاركهم فيها ويواسيهم عندها مثل (موت القريب والحبيب، الفشل والرســـوب في العمل والدراســـة، الإفلاس، المرض، .... الخ.

كما أن الأفراح كثيرة أيضا (النجاح، الـــزواج، الترقية في العمل والوظيفة، الالتزام والتمســـك بالدين، بناء بيت جديد، شراء سيارة، ولادة مولود، .... الخ

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ تذكر ما سبق في المقدمة.

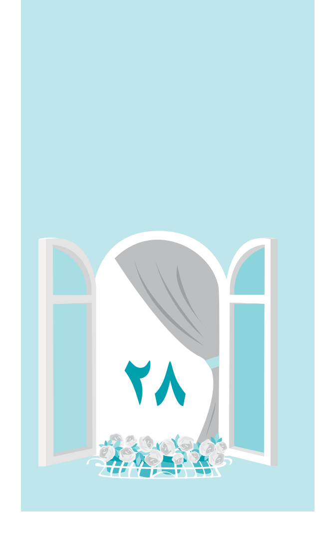
٢ ـ حاول أن تبرمج نفسك على أن تأخذ من كل شيء بطرف ولو

بســيط حتى لا تنقطع عن الخلق بالكلية فإن لــك إلى الناس حاجات وتمر بك أوقات تحتاج إليهم.

٣ ـ تذكر أن الإنسان مدني بالطبع فإذا لم تقم مع الناس فلا تحزن وتضيق إن لم يقوموا معك فإنما المعاملة بمثلها.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من خالط الناس وأحسن معهم المراس وضع فوق الرأس)



الزيارة في اللّه

إن الزيارة مدخل للأنس بالمزور وخاصـــة في الأوقات الصعبة التي يمر بها الإنســـان من مـــرض أو مصيبة بفقد حبيـــب أو مال، وخاصة من يـــزور ليخفف الآلام بحســـن الكلام ويبشـــر بالتفاؤل بالقصص الحسان.

يـــروى أن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ زار بقي بـــن مخلد في مرض له فقال له: «يا أبا عبدالرحمن، أبشر بثواب الله أيام الصحة لا سقم فيها وأيام السقم لا صحة فيها.. ».

من حسن الزيارة أن تكون في وقت مناسب وعلى فترات مناسبة ويمكث وقتا وســـطا لا قصيـــرا ولا طويلا فإذا طـــال المجلس كان للشيطان فيه نصيب.

عن حبيب بن مسلمة قال قال رسول الله ﷺ زر غبا تزدد حبا[١].

واحذر فـــي زيارتك من الحديث عن أمـــور الدنيا فقط فمجلس لا يذكر الله تعالى فيه مجلس لا خير فيه فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ

---

(١) رواه ابن حبان والطبراني والحاكم.

قال ما قعد قوم مقعدا لا يذكرون الله فيه ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن أدخلوا الجنة للثواب[١].

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة[٢].

وعنه قال قال رسولُ اللهِ ﷺ ما جلَسَ قوْمٌ مجلِساً لمْ يذكُروا اللهَ فيه ولمْ يُصلّوا على نبِيِّهم إِلَّا كانَ عليهِم تِرَةً فإِنْ شاءَ عذَّبهمْ وإِنْ شاءَ غفَرَ لهم[٣].

وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال قال رسولُ اللهِ ﷺ لا تُكثِروا الكلامَ بغيرِ ذِكرِ اللهِ فإِنَّ كثرةَ الكلامِ بغيرِ ذكر اللهِ قَسْوَةٌ للقلْبِ وإِنَّ أبعَدَ النَّاسِ من اللهِ القلبُ القاسِي[٤].

ونوع خطابك وكلامك ما بين سؤال عن حال دون استقصاء أو استفصال، وما بين تذكر ذكريات أو إلقاء فكاهة وطرفة أو تبادل المعرفة والأشعار.

واحذر في زيارتك من الجدال والمراء لأنك زرت محبة وتودد فلا تكسب كراهية وحقدا فيتضايق من وجودك ولا يرغب في

---

(١) رواه النسائي وابن حبان.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الترمذي،

زيارتك مــرة أخرى، بل إن الجــدال والمراء مذمــوم في كل وقت وحال فما بالك حــال الزيارة التي مقصدهــا مناقض للجدال أصلا فعن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن تــرك المــراء وإن كان محقا وببيت في وســط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه[(١)].

واعلــم أن الزيارة في الله ولأجله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ســبب لكســبك محبة الله تعالى لك وهــذا مطلب المحبيــن والعابدين والســالكين على مر التاريخ عن أبــي هريرة عن النبي ﷺ أن رجــلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجتــه ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لي في هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أنــى أحببته في الله عَزَّ وَجَلَّ قال فإني رســول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه[(٢)].

فمن أحبه الله تعالى وضــع له القبول وفتح لــه القلوب وأجلته العقول وارتاحت له النفوس وفاز بالرضا وهنأ بالسعادة ونعم بالحياة كيف لا وهو يجد أنــاس يحبونه فــي الله لأنه أحبهم فيــه وزارهم لأجله، وفتح قلبه لهم.

---

(١) رواه أبو داود والطبراني.

(٢) رواه مسلم.

قال ابن الخيمي:

إذا رضي الصديق من الصديق بمتفق السلام على الطريق
فما يتزاوران بغير عذر ولا يتعاتبان على العقوق
فقد جعلا سلامهما عزاء على موت الصداقة والخفوق

قال أبو العتاهية:

أَتَدري مَن أَخوكَ أَخوكَ حَقّاً أَخوكَ بِصَبرِهِ لَكَ وَاِحتِمالِه
أَخوكَ المُبتَغي لَكَ كُلَّ خَيرٍ وَصاحِبُكَ المُداوِمُ في وِصالِه

عن أنس رضي الله عنه قال كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار[١].

حتى إن الزيارة قد جعلت من أحد أعذار صلاة الجماعة وذلك كما نص بعض الفقهاء من أنه إذا أنس المريض بالزائر رخص له ترك الجماعة.

احذر أن تكون ممن قال فيه إبراهيم أطيمش:

بخيلٍ ولكن في الزيارة واللقا جواد ولكن في القطيعة والهجر

(١) رواه البخاري.

كتب الإمام الشافعي ﷺ للإمام أحمد ﷺ ما لفظه:

قالــوا يــزورك أحمــد وتزوره ... قلت الفضائــل لا تفارق منزله
إن زارنــي فبفضلــه أو زرتــه ... فلفضلــه فالفضــل للحالين له

فأجابه الإمام أحمد:

إن زرتنا فبفضــل منك تمنحنا ... أو نحن زرنا فللفضل الذي فيكا
فلا عدمنا كلا الحالين منك ولا ... نال الذي يتمنى فيك شــانيكا

وفي الحديث عن ابن عمر ألا إن من مكارم الأخلاق التزاور في الله وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده وإن لم يجد عنده إلا جرعة من ماء فإن احتشم أن يقرب إليه ما تيسر لم يزل في مقت الله يومه وليلته ومن اســتحقر ما يقرب إليــه أخوه لم يزل في مقت الله يومه وليلته[1].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ راجع ما سبق في المقدمة من خطوات.

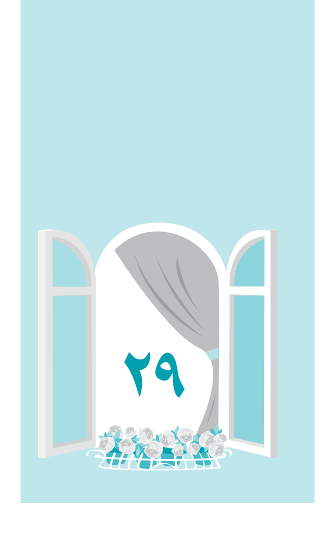
٢ ـ انبهك إلى أن الزيارة لله ســبب محبة الله لــك وإذا أحبك فزت بكل شيء ولذلك حاول أن تقوم بها ولو أحياناً على الأقل.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(زر غبا تزدد حبا)

---

(١) رواه الديلمي وهو ضعيف.



العدل

العدل ضد الظلم وهو أساس قيام السموات والأرض والعدل مناعة نفسية تمنع صاحبها من ظلم الخلق ومن ظلم النفس وذلك بأداء الواجبات والقيام بالحقوق والتعامل مع الخلق بميزان الله تعالى الذي رسمه لعباده ليسيروا به في الحياة على وجه تصلح به الحياة وتستقيم معيشتهم فيها عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا[١].

والعدل سيد الفضائل والشمائل ورمز المفاخر بين الأوائل والأواخر وكل صفة به تمدح حتى العقوبة وكل صفة بدونه تذم حتى الكرم فبدون العدل يكون سفه وتبذير

والعدل قوام المجتمع المتحضر وأساس رقيه ونهضته وسبيل سعادته وفلاحه وتقدمه وازدهاره وهو أساس انتشار السلام وقيامه بين العالمين.

---

(١) رواه مسلم.

لقد أعلى الإسلام من العدل ورفع من رايته وما ذلك إلا لأنه يستمد اسمه من الله جل جلاله لأنه سبحانه هو العدل على الحقيقة ولذلك أمر به وحث عليه في كل شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

إن العدل مصدر للجمال والنور والبهاء والجلال كيف لا يكون كذلك وبه تنتظم الحياة وتحلو ويظهر الإبداع وتشع الحرية ويرتاح الضمير وتعمل العقول وتطمئن النفوس وتسكن الأرواح وتنتشر الأفراح ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

إن العدل مدخل إلى كسب القلوب والعقول لأنه متلائم مع الفطرة السليمة التي فطرت على كره الضيم والظلم سواء وقع عليها

أو على غيرها بل إن الإنسان ليستغرب أن يقع عليه الظلم وينكر ذلك على الظالم ويستغيث بالناس ليخلصوه من الظلم مع أنه قد يكون هو بنفسه يمارس الظلم على كثير من الخلق لكن فطرته تأبى الظلم عليها حتى ولو كانت هي تمارسه على الآخرين.

إن للعدل صور كثيرة فمنها ما هو بين الأفراد أنفسهم مع بعضهم البعض ومنها ما هو بين الحاكم والمحكومين.

فمن عدل الأفراد أن يقوم المرء بحقوق الآخرين التي عليه حسب مراتبهم وأنواعهم ودرجاتهم ككف الأذى عنهم والإساءة إليهم وسياستهم بكرم المعاملة وحسن الخلق ومحبة الخير لهم والنصح لهم والموافقة لهم في غير الخطأ والممنوع شرعا ومداراتهم وتحمل أخطائهم وإساءتهم ومساعدة المظلوم منهم حتى يقوم العدل في المجتمع فيعيش في سعادة.

«وأما عدل الحكام، فحيث كان الحكام ساسة الرعية، وولاة أمر الأمة، فهم أجدر الناس بالعدل، وأولاهم بالتحلي به، وكان عدلهم أسمى مفاهيم العدل، وأروعها مجالا وبهاءً، وأبلغها أثرا في حياة الناس.

فبعدلهم يستتب الأمن، ويسود السلام، ويشيع الرخاء، وتسعد الرعية. وبجورهم تنتكس تلك الفضائل، وتتحول تلك الأماني إلى نقائضها، وتغدو الأمة آنذاك في قلق وحيرة وضنك وشقاء.

وقد أجمع البشر عبر الحياة، واختلاف الشرائع والمبادئ، على

تمجيد العدل وتقديسه، والتغني بفضائله ومآثره، والتفاني في سبيله.

فهو سر حياة الأمم، ورمز فضائلها، وقوام مجدها وسعادتها، وضمان أمنها ورخائها، وأجل أهدافها وأمانيها في الحياة.

وما دالت الدول الكبرى، وتلاشت الحضارات العتيدة، إلا بضياع العدل والاستهانة بمبدئه الأصيل»[١].

« إن إقامة العدل وأداء الحقوق لأهلها من أسباب بقاء الدول وتفوقها وغلبتها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة (الحسبة): الجزاء في الدنيا متفق عليه أهل الأرض، فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: «الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة».

ولما سمع عمرو بن العاص المستوردَ بن شدادَ يحدث عن النبي ﷺ بقوله: تقوم الساعة والروم أكثر الناس. قال له عمرو: أبصر ما تقول؟ فقال المستورد: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. فقال عمرو: لئن قلت ذلك؛ إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك. رواه مسلم»[٢].

(١) منقول من الانترنت.

(٢) منقول من الانترنت.

قال إبراهيم الحضرمي:

فوالله ما خافوا سوى العدل فيهم   وفي العدل والله العلا والرغائب

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ انظر فيما ذكر في المقدمة من خطوات.

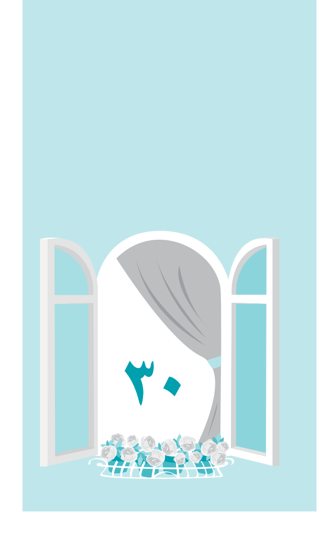
٢ ـ انصف من نفسـك وأقم العدل مع كل شيء حولك فإن الله هو العدل.

٣ ـ تذكر عاقبة الظلم الوخيمة وتنبـه أنك لا ترضى بأن يقع الظلم عليك فكيف تقبل أو تُوقعه أنت على غيرك.

٤ ـ إذا أردت النصر على الأعداء والظفر بالمطلوب فأقم العدل لأن النصر حليف العدل الدائم.

لتكن الحكمة التي تسـتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(العدل أساس الحق والحق عماد الخير والجمال
وبهما تفتح الأقفال)



حسن البيان واللسان

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله ﷺ إن من البيان لسحرا أو إن بعض البيان لسحر[١].

وعند الربيع في مسنده عن عبد الله بن عمر قال قدم رجلان من المشرق فخطبا فأعجب الناس بيانهما فقال رسول الله ﷺ إن من البيان لسحرا قال الربيع إنما يعني بالبيان المنطق بالناس حتى يأخذ قلوبهم وأسماعهم[٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس إلى رسول الله ﷺ قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميون ففخر الزبرقان فقال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب فيهم أمنعهم من الظلم فآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذاك يعني عمرو ابن الأهتم فقال عمرو بن الأهتم والله يا رسول الله إنه لشديد العارضة مانع

(١) رواه البخاري.

(٢) مسند الربيع (٣٥/١).

لجانبه مطاع في ناديه قال الزبرقان والله يا رســـول الله لقد علم مني غير ما قال وما منعه أن يتكلم به إلا الحســـد قال عمرو أنا أحسدك فوالله إنك لئيم الخال حديث المال أحمق الموالد مضيع في العشيرة والله يا رســـول الله لقد صدقت فيما قلت أولا ومـــا كذبت فيما قلت آخرا لكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما وجدت ووالله لقد صدقت في الأمريـــن جميعا فقال النبي ﷺ إن مـــن البيان لســـحرا إن من البيان لســـحرا وقد روي عـــن أبي بكرة الأنصاري أنه حضر هذا المجلس[١].

قال المناوي: إن من البيان لســـحرا أي إن منـــه لنوعا يحل من العقول والقلوب في التمويه محل الســـحر فإن الساحر بسحره يزين الباطل في عين المســـحور حتى يراه حقا فكذا المتكلم بمهارته في البيان وتفننه في البلاغة وترصيف النظم يسلب عقل السامع ويشغله عن التفكر فيه والتدبر له حتى يخيـــل إليه الباطل حقا والحق باطلا وهذا معنى قـــول ابن قتيبة إن منـــه ما يقرب البعيـــد ويبعد القريب ويزين الباطل القبيـــح ويعظم الصغير فكأنه ســـحر وما ضارعه فهو مكروه كما أن الســـحر محرم وهـــذا قاله حين قدم وفـــد تميم وفيه الزبرقان وعمرو بن الأهتم فخطبـــا ببلاغة وفصاحة ثم فخر الزبرقان فقال يا رسول الله أنا ســـيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم

(١) رواه الحاكم.

أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهـذا يعلم ذلك فقال عمرو إنه لشـديد العارضة مانع لجانبه مطاع في ناديـه فقال الزبرقان والله لقد علم مني أكثر مما قال ما منعه أن يتكلم إلا الحسـد فقال عمرو أنا أحسـدك والله إنك للئيم الخال حديث المال ضيق العطن أحمق الولد والله يا رسـول الله لقد صدقت فيما قلت أولا وما كذبت فيما قلت آخرا لكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعا فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن .... الخ قال الميداني هذا المثال في استحسان النطق وإيراد الحجة البالغة[(١)].

عن صخر بن عبد الله بـن بريدة عن أبيه عن جده قال سـمعت رسول الله ﷺ يقول إن من البيان سحرا وإن من العلم جهلا وإن من الشـعر حكما وإن من القول عيالا فقال صعصعة بن صوحان صدق نبي الله ﷺ أما قوله إن من البيان سـحرا فالرجـل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسـحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأمـا قوله إن مـن العلم جهـلا فيتكلف العالـم إلى علمه ما لا يعلـم فيجهله ذلك وأمـا قوله إن من الشـعر حكما فهي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس وأما قوله إن من القول عيالا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه ولا يريده[(٢)].

(١) فيض القدير (٢/٥٢٤).
(٢) رواه أبو داود.

إن من البيان سحرا أي إن بعض البيان سحرٌ لأن صاحبه يوضح المشكل ويكشف بحســن بيانه عن حقيقته فيســتميل القلوب كما يســتمال بالســحر فلما كان في البيان من صنوف التركيب وغرائب التأليف ما يجذب السامع إلى حد يكاد يشغله عن غيره شبه بالسحر الحقيقي قال صعصعة صدق رسول الله فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بحجته من صاحبه فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وإن من الشــعر حكما جمع حكمة أي قولا صادقــا مطابقا للحق موافقا للواقع وذلك ما كان منه مــن قبيل المواعظ وذم الدنيا والتحذير من غرورها ونحو ذلك فبين المصطفى أن جنس البيان وإن كان محمودا ففيه ما يذم للمعنى الســابق وجنــس الشــعر وإن كان مذموما ففيه ما يحمد لاشتماله على الحكمة وعبر بمن إشارة إلى أن بعضه ليس كذلك وفيه رد على من كره مطلق الشعر وأصل الحكمة المنع وبها ســمي اللجام لأنه يمنع الدابة .... والجملة الثانية في البخاري بلفظ إن من الشعر لحكمة من حديث أبي[(١)].

قال صلاح الدين القاسمي:

أَيــنَ ذاكَ البَيان يَفعَــل بِاللُّبِ   بِمــا قَد يَفــوق فعل الشّــمولِ
أَينَ ذاكَ الجنــان يَخفق بالعلمِ   فَـيـبـدي مـحـاسـن الـتـأويـلِ

---

(١) فيض القدير (٢/٥٢٤).

قال ابن رشيق القيرواني:

إِذا فتَّن الأَعْــداءَ حُسْــنُ كَلامِه أَقولُ لهم هــذا البيانُ وسِــحْرهُ
وقالُوا بــه فلْيفتَخِرِ أَهْــلُ عَصْره فقلْتُ على رغم الدهور وَعَصْرُه
هــذه العليــاءُ لَا انْحــطَّ أُفْقُهــا وذَا المَجْدُ لا غَابتْ عن النَّاسِ زُهْرُه

وليس كل ما يراه الشخص بياناً يكون بياناً إنما الأمر مرجعه إلى حسن تذوق الناس لبيانك واستحســانهم له وقبولهم إياه وإلا فيعد من هذر الكلام وإن رأيته حســنا والمعيار في ذلك أهل الفضل من الناس والفطر الســليمة بشــرط عدم العداوة والحسد وإلا فقد يقبح الحسن ويحسن القبيح.

قال أبو الفضل الوليد:

السحرُ في حســنِ البيانِ وإنما هــذا البيــانُ رأيتَــهُ أضغاثــا

إن حســن البيان يكســبك العلا والمجد والرفعة كما يكســبك القلــوب والعقول والأرواح فيســتمع إلى كلامك ويأخــذ به ويتبع ويسترشد به.

قال أحمد الكناني:

في حُسنِ منطقه سحرُ البيانِ بدا شــهمٌ رَأَينا لهُ كســبَ العُلا فنا

قال نيقولاس الصائغ:

حزتُ الرَشادَ بحسن الإتباع لهم حتى سلوتُ عن الأَوطان والحَشَمِ
حسنُ البَيان بما في النفس أَرشَدَني إلى هُداهم ولم أُرشَــد بغيرهمِ

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ ليس لك من سبيل لتلج هذه النافذة إلا التدرب على حسن الإلقاء والكلام مع القراءة كثيراً في كتب اللغة والأمثال والبلاغة.

٢ ـ جالس البلغاء وأهل الفصاحة والبيان فمن جالس جانس والصاحب ساحب والطباع سراقة.

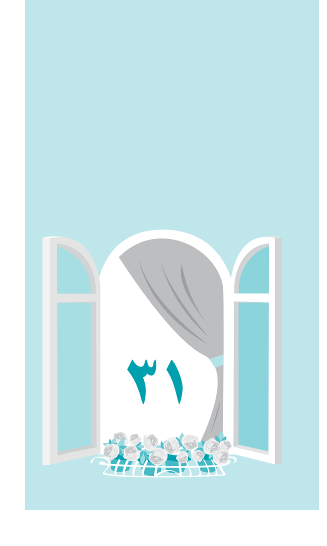
٣ ـ لا تيأس إذا لم تجد قبول في بداية الأمر واتبع الخطوات الثلاث السابقة في المقدمة.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من سحر بالبيان أسر الجنان)

أو

(السحر الحلال سحر القلوب بالبيان وحسن المنطق باللسان)



الحياء

الحياء منبع الخير ومعدن الفضل وكنز أهل العلا وبستان أهل الوفا وحصن الأخلاق وسد منيع أمام المعاصي والمنكرات والمخالفات وصاحبه محبوب من الله ومن الخلق.

عن أبي قتادة قال كنا عند عمران بن حصين في رهط منا وفينا بشير بن كعب فحدثنا عمران يومئذ قال قال رسول الله ﷺ الحياء خير كله قال أو قال الحياء كله خير فقال بشير بن كعب إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينة ووقارا لله ومنه ضعف قال فغضب عمران حتى احمرتا عيناه وقال ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه قال فأعاد عمران الحديث قال فأعاد بشير فغضب عمران قال فما زلنا نقول فيه إنه منا يا أبا نجيد إنه لا بأس به[1].

قال الشنقيطي «أي إن الحياء وهو من أخص الأخلاق سياج من الرذائل وهذا مما يؤكد أن الخلق الحسن يحمل على الفضائل ويمنع من الرذائل كما قيل في ذلك:

(١) رواه مسلم.

إن الكريــم إذا تمكــن من أذى   جاءته أخــلاق الكــرام فأقلعا
وترى اللَّئيــم إذا تمكن من أذى   يطغى فلا يبقي لصلح موضعا[١]

عن أبي مســعود عقبة الأنصاري قال قال النبي ﷺ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فافعل ما شئت[٢].

وهذا الحديث ليس فيه دلالة مطلقة على أن فعلك لكل ما تشاء ناتج عــن عدم الحياء فهناك أشــياء مباح فعلها فــلا تدخل في هذا الحديث إنما الحديث فــي ذم من لا يردعه حيائه فإنه ســيفعل كل مخالفة للديــن أو العرف المســتقيم وحتى للقيم والمبــادئ العليا المتفق عليها بين البشــر فمن لم يستحي ســيخرج عن جميع هذه الأمور فما عاد شيء يردعه

قال الحافظ: «وقوله من كلام النبوة أي مما اتفق عليه الأنبياء أي إنه مما ندب إليه الأنبياء ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم لأنه أمر أطبقت عليه العقول وزاد أبو داود وأحمد وغيرهما النبوة الأولى أي التي قبل نبينا ﷺ قوله فاصنع ما شــئت هو أمر بمعنى الخبر أو هو للتهديد أي اصنع ما شئت فإن الله يجزيك أو معناه انظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يستحى منه فافعله وإن كان مما يستحى منه فدعــه أو المعنــى إنك إذا لم تســتح مــن الله من شــيء يجب أن

---

(١) أضواء البيان (٢٥٠/٨)
(٢) رواه البخاري.

لا تستحي منه من أمر الدين فافعله ولا تبال بالخلق أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله أي لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الاستحياء»(١).

ولا ريب أن هناك أشياء يمكن للمرء فعلها ولو خالفت ما عليه الكثير من الناس مما تعارفوا عليه لكن مراعاة العرف المستقيم فيما لا يخالف الشرع من الأمور الحسنة.

قال بشار بن برد:

مَن راقَبَ الناسَ لَم يَظفَر بِحاجَتِهِ   وَفازَ بِالطَيِّباتِ الفاتِكُ اللَهِجُ

وقال صريع الغواني: ونسب لغيره.

مَن راقَبَ النـاسَ مـاتَ غَمّاً   وَفـازَ بِـاللَـذَّةِ الـجَسـورُ

فليس كل شيء لا يراه الناس أو لا يفعلونه لا بد من الحياء من فعله ما دام أنه لا يخالف شرعا.

عن عبد الله بن عمر ﵄ قال مر النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول إنك لتستحيي حتى كأنه يقول قد أضر بك فقال رسول الله ﷺ دعه فإن الحياء من الإيمان(٢).

والحياء ثلاثة أنواع: الأول الحياء من الله، والثاني الحياء من النفس، والثالث الحياء من الخلق فمن فقدها كلها فهو محروم من الخير.

---

(١) فتح الباري (٥٢٣/٦).

(٢) رواه البخاري.

بل إن الحيـــي ليدخل إلى القلوب فيثمر ذلــك الحياء منه حتى ولو كان ممن هو أفضل منه وأشد حياءا وانظر في بيان هذا إلى حال النبي ﷺ مع عثمان والنبي ﷺ هو من هو في الحياء فعن أبي سعيد الخدري قال كان النبي ﷺ أشــد حياء من العــذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه[(١)].

عن عائشة قالت كان رســول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم اســتأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رســول الله ﷺ وســوى ثيابه قال محمد ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمــر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلســت وسويت ثيابك فقال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة.

وعن سعيد بن العاص أن عائشــة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر اســتأذن على رســول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشــه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم اســتأذن عمر فأذن له وهو على تلــك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة

(١) رواه البخاري ومسلم.

يا رســـول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمــر ﵄ كما فزعت لعثمان قال رسول الله ﷺ إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته[1].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ تعاهد ثمرة الحياء التي في داخلك ولا تمتها بكثرة الجرأة فيما لا يعد حســـناً فليس كل شيء مستحســـن وليس كل شيء فيه حرية شخصية.

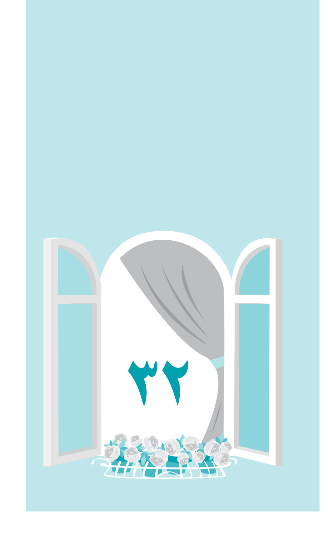
٢ ـ تذكر دائماً أنه بإمكانك أن تفعل ما تشـــاء دون حياء من الخلق لكن هناك من ينبغي الحياء منه حتى في الخلوة إنه الله المطلع على كل شيء.

٣ ـ إذا أردت أن تكون من أهل الخيرية والسيادة على الناس فالزم الحياء لأنه خير كله وصاحبه كذلك لأنه لا يحمله إلا على فعل الخير والحسن.

لتكن الحكمة التي تســـتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(إذا لم تستحي فاصنع ما تشاء لكن ستخسر كثيراً من القلوب التي لا تحب ما تفعله من خطأ أو باطل)

(١) رواهما مسلم.



الدعاء

دعاء الفتاح يفتح القلوب وينير الدروب ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال الشافعي:

أَتَـهـزَأُ بِـالـدُعـاءِ وَتَـزدَريـهِ   وَما تَـدري بِما صَنَـعَ الدُّعاءُ

سِـهامُ اللَيلِ لا تُخطِـي وَلَكِن   لَهـا أَمَـدٌ وَلِلأَمَـدِ اِنقِضـاءُ

إن القلـوب التي نحاول الدخـول إليها أمرها بيـد خالقها وهو يوجهها كيف يشاء ومتى يشاء فالتوجه إليه في فتحها وتحريكها هو الطريق الأسلم والأسـرع فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشـاء ثم قال رسول الله ﷺ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك[1].

قال المناوي: قال ابن العربـي معناه أن القلوب بين إصبعين من

(١) رواه مسلم.

أصابع الرحمن فقد يعود الحبيب بغيضا وعكسه فإذا أمكنته من نفسك حال الحب ثم عاد بغيضا كان لمعالم مضارك أجدر لما اطلع منك حال الحب بما أفضيت إليه من الأسرار(١).

ودعاء الله تعالى بأن يفتح القلوب وينشر الذكر الحسن بين العالمين من فعل الأنبياء والصالحين وطريقتهم فهذا أبو الأنبياء وإمام الموحدين إبراهيم عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] والمتقون لا يقتدون إلا بمن يحبوه ويرتضوه.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر أنه كان يدعو على الصفا والمروة يكبر ثلاثا سبع مرات يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

وكان يدعو بدعاء كثير حتى يبطئنا وإنا لشباب وكان من دعائه اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ويحب رسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم يسرني لليسرى وجنبني العسرى واغفر

(١) فيض القدير (١٧٦/١).

لي في الآخرة والأولى واجعلني مــن الأئمة المتقين ومن ورثة جنة النعيم واغفر لي خطيئتي يوم الدين اللهم إنك قلت ادعوني أستجب لكم وإنك لا تخلف الميعاد اللهم إذ هديتني للإسلام فلا تنزعه مني ولا تنزعني منه حتى توفاني على الإســلام وقد رضيت عني اللهم لا تقدمني للعذاب ولا تؤخرني لسيء الفتن[(١)].

عن أبي هريرة قال والله ما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني قلت وما علمت بذلك يا أبا هريرة قــال إن أمي كانت امرأة مشــركة وكنت أدعوها إلى الإســلام فتأبى علي فدعوتها ذات يوم فأسمعتني في رســول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي وإني دعوتها فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رســول الله ﷺ اللهم اهد أم أبي هريرة قال فخرجت أعدو أبشــرها بدعوة رســول الله ﷺ فلمــا أتيت البــاب إذا هو مجاف فســمعت بخضخضة الماء وسمعت خشفة رجلي فقالت يا أبا هريرة كما أنت وفتحت الباب ولبست درعها وعجلت على خمارها فقالت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رســول الله فرجعت إلى رســول الله ﷺ أبكي من الفرح كما كنت أبكي من الحزن فقلت يا رسول الله إن الله قد أجابك في أمي فــادع الله أن يحببني وأمي إلــى عباده المؤمنين

(١) الدر المنثور (١/٣٨٩).

ويحببهم إلينا فقال رسول الله ﷺ اللهم حبب عبدك وأمتك إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما[1].

قال إبراهيم الرياحي:

بافْتقارٍ منّا وذُلٍّ أَتَيْنَا ما لنا عِزَّةٌ ولا استغناء
نَقْرَعُ البابَ بالدّعاء ونرجو فَلَنِعْمَ الدُّعَا ونِعْمَ الرّجاءُ

قال الباجي المسعودي:

وَنادوا بِالدُعاءِ بِكُلِّ خَير فَقيلَ لَهُ لَقَد قُبِلَ الدعاءُ
إذا الإنسانُ أَخلَصَ في مَساعٍ تَوالى الخَيرُ وامتلأ الوِعاءُ

إن الدعاء سلاح الأقوياء من الرسل والأنبياء والعلماء والصلحاء كيف لا يكون كذلك وصاحبه يعتصم بمن بيده ملكوت الأرض والسماء ويستمد القوة من القوي العزيز ولذلك أمر الله تعالى به ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ (غافر: ٦٠) لكن أمر الإجابة مشروط بما أراده الله لا بما يريده العبد وفي الوقت الذي يريده الله لا في الوقت الذي يريده العبد لكن الدعاء في كل أحواله خير

ولسائل أن يسأل فيقول لماذا جعلت هذه النافذة من أواخر النوافذ.

(١) رواه الطبراني وغيره.

فأقول لأن الأمور بخواتيمها وفتح القلوب بعد بذل هذه النوافذ كلها من قبل الله تعالى ودعائه سـبب لفتحها ثم إن الدعاء في كثير من الأمور يكون بعدها وفي آخرها مثل التشـهد والقنوت بعد الوتر والدعاء آخر الخطبة والدرس والمحاضرة .... الخ

قال ابن زمرك:

ختمتُ ثنائي بالدعـاء وها أنا   أُقلِّـبُ في كفِّ النّدى وأُسـلِّمُ

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ راجع ما سبق من خطوات المقدمة.

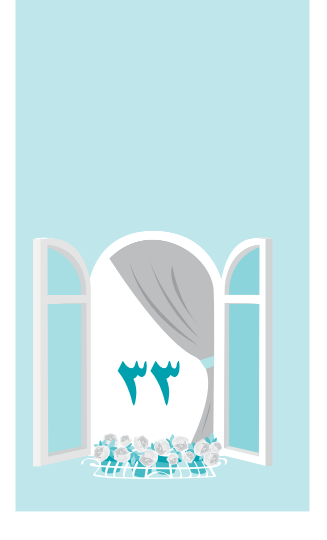
٢ ـ تذكر أنه ليس بينك وبين الله حائل ولا وسائط فقد ارفع يديك بأكف الضراعة مع الـذل والافتقار ترى العجب العجاب إن لم يكن حساً فمعنى.

٣ ـ إذا أيقنـت بأن الدعاء سـلاح الأقويـاء من الرسـل والأنبياء والعلماء وغيرهم فلا أظن أنك ستتركه أو تفرط به لأنه السلاح الفعال في كل عصر ومصر وحال.

لتكن الحكمة التي تسـتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(اللهم يا عالم الغيوب افتح لي القلوب)

حاول أن تقول ذلك كل إشـراقة صباح وليـس هذا من الأذكار إنما هو مجرد دعاء.



التماس الأعذار وعدم الإكثار من العتاب

إن قبول الأعذار دلالة على حسن طباع صاحبه وطيبة قلبه وكرم معدنه وهو أمر حث عليه الشـــرع ورغب فيه وكل ما جاء في العفو والصفح وغفران الزلات يصلح هنـــا وهذا منهج الصالحين من عباد الله المؤمنين وانظر إلى موسى كيف سكت عن أخيه هارون بعد أن بين له عذره ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طــه: ٩٤] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

عن البراء بن عازب قال خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها أو قال في خدورها ثم قال يا معشـــر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المســـلمين ولا تتبعوا عوراتهـــم فإنه من تتبع عورة أخيه المســـلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته[١].

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.



قال عبدالله بن محمد بـــن منازل المؤمن يطلـــب معاذير إخوانه والمنافق يطلب عثرات إخوانه.

وقال حمدون القصار إذا زل أخ من إخوانكم فاطلبوا له ســـبعين عذرا فإن لم يقبله قلوبكم فاعلموا أن المعيب أنفســـكم حيث ظهر لمسلم سبعين عذرا فلم يقبله.

وعن زكريا بن يحيى عم الأصمعي قال قال أعرابي تناس مساوئ الإخوان يدم لك ودهم.

وأنشد المطرفي لبعضهم:

اقبل معاذير مـــن يأتيك معتذراً　　إن بر عندك فيمـــا قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره　　وقد أضلك من يعصيك مستترا

ولأبي الحسن بن أبي العالية البيهقي:

قيل لي قـــد أســـاء إليك فلان　　ومقـــام الغني على الـــذل عار
قلت قد جاءنـــا وأحدث عذرا　　ديـــة الذنـــب عندنـــا الاعتذار

وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب:

ثلاث خلال للصديـــق جعلتها　　مضارعـــة للصـــوم والصلوات
مواســـاته والصفح عن كل زلة　　وترك ابتذال السر في الخلوات

وأنشد أبو منصور

نفســـي أســـاءت كمـــا زعمت　　فـــأيـــن عـــاقـــبـــة الأخـــوة

فإذا أساءت كما أساأت فأين فضلك والمروة

عن محمد بن سيرين قال إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا فإن لم تجد له عذرا فقل له عذر.

وقال جعفر بن محمد إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذرا واحدا إلى سبعين عذرا فإن أصبته وإلا قل لعل له عذرا لا أعرفه.

عن سعيد بن المسيب قال كتب إلى بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد له في الخير محملا ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه ومن كتم سره كانت الخيرة في يديه وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه وعليك بإخوان الصدق فكثر في اكتسابهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة عند عظيم البلاء ولا تهاون بالحلف فيهينك الله ولا تسألن عما لم يكن حتى يكون ولا تضع حديثك إلا عند من يشتهيه وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله ﷻ وشاور في أمرك الذين يخشون ربهم بالغيب(١).

بل إن التماس الأعذار للإخوان من حسن إسلام المرء قال في مرقاة المفاتيح «والتخلق به ـ أي السلام ـ أن يسلم المسلمون من

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

لســانه ويده بل يكون بزيادة الشفقة عليهم فإذا رأى من هو أكبر منه سناً قال هو خير مني لأنه أكثر مني طاعة وأسبق مني إيماناً ومعرفة وإن رأى أصغر منه قال إنه خير مني لأنه أقل مني معصية وإذا ظهر من أخيه معصية طلب له سبعين معذرة فإن اتضح له عذره وإلا عاد على نفسه باللوم ويقول بئس الرجل أنت حيث لم تقبل سبعين عذراً من أخيك[١].

قال القائل:

سـامـح أخــاك إذا خلط ... مـنـه الإصـابـة بـالـغـلـط
وتـجـاف عـن تـعـنـيـفـه ... إن زاغ يـومـا أو قسط
واعـلـم بـأنـك إن طلبت ... مـهـذبـاً رمـت الـشـطـط
مـن ذا الـذي مـا سـاء قط ... ومـن لـه الـحـسـنـى فقط

إن كثرة العتاب وعدم قبــول الأعذار مدعاة للنفور والتقاطع بين المحبين والأصدقاء لأن النفــوس لا تتحمل الضغط الدائم على كل شيء وخاصة ما كان فيه نقد ولوم وتعنيف.

قال بشار بن برد

إذا كُنتَ فــي كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِباً ... صَديقَكَ لَم تَلــقَ الَّذي لا تُعاتِبُه
فَعِش واحِداً أَو صِــل أَخاكَ فَإِنَّهُ ... مُقــارِفُ ذَنــبٍ مَــرَّةً وَمُجانِبُــه
إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِراراً عَلى القَذى ... ظَمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه

---

(١) مرقاة المفاتيح (١٧٢/٥).

قال الناظم:

كَثَر العَتب يا صاحبي ما هو بزين   لان العتب يقطع حبــال المودّه
جربت قبلك والبشر طبعهم شين   عوجــان منطق للزعل مســتعده
ما تعرف أن الحق ما يرضي اثنين   واللي يصارح يجمع الناس ضده
حتى حبيبك لــو تعاتبه كل حين   ملك وجــازاك الجفــا والمصده
اصبر وغض الطرف مره وثنتين   يمكــن يفيق وطيــب أصله يرده

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ تذكر خطوات المقدمة.

٢ ـ إذا أحببت أن تعيش سعيداً مطمئن البال هادئ الروح فأكثر من التماس الأعذار لمحبيــك عندها فقط تصفو لــك الحياة وإلا فستعيش في جو مكهرب مع اسوداد ظلمته.

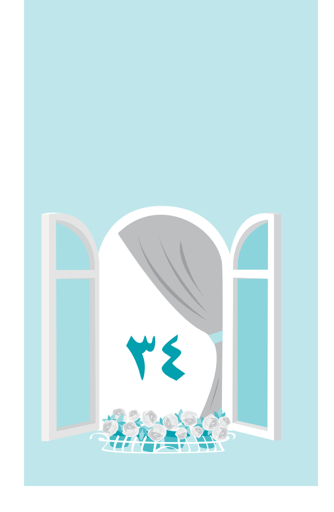
٣ ـ اقنع نفسك أن هناك أعذاراُ كثيرة لا يمكنك أن تطلع عليها إلا بســؤال أخيك عنها فإذا شــئت أن ترتاح فإما أن تسأل وإما أن تقول هناك ما لا أعرفه.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(كثرت العتب تثقل القلب وتضعف الحب)

أو

(من التمس الأعذار رفع له في القلوب مقدار)



ترك الجدال والمراء والخصام

إن الجـــدال والمراء مدخل للخصـــام والخصـــام مدخل لإيغار الصدور والقلوب وملئها بالغيـــظ والحقد والكراهية وخاصة إذا كان الجدال لإظهار النفس على الغير وللانتصار في النقاش فقط ولذلك رتب الشـــرع على ترك الجدال بيتا في الجنة وهو مستلزم لدخولها عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن تـــرك المـــراء وإن كان محقاً وببيت في وســـط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه[١].

بل إن من المراء ما يعد خطرا عظيمـــا على صاحبه وهو ما كان فـــي الدين على غير هـــدى وعلم وبقصد ضـــرب بعضه ببعض عن زيد بن ثابت أن رســـول الله ﷺ قال لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون[٢].

والمخاصم والمجادل على غير الحـــق والدين مبغوض عند الله

---

(١) رواه أبو داود وغيره.

(٢) مجمع الزوائد (١٥٧/١).

وعند خلقه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم[١].

قال ابن الرومي:

لذوي الجدال إذا غدوا لجدالهم حججٌ تَضِلَ عن الهدى وتجورُ
وُهنٌ كآنية الزجاج تَصادمتْ فهوتْ وكلٌّ كاسِرٌ مكسور
فالقاتل المقتول ثَمَّ لضعفه وَ لوَهْيِه والآسرُ المأسور

والجدال غالبا لا يثمر خيرا بل ينتج الإثم والبغض والشحناء عن معاذ قال قال رسول الله ﷺ دعوا الجدال والمراء لقلة خيرهما فإن أحد الفريقين كاذب فيأثم الفريقان[٢].

عن عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقي قال حدثني أبو الدرداء وأبو أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك قالوا خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال مهلا يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا أخذوا المراء لقلة خيره ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري ذروا المراء فإن المماري قد نمت خسارته ذروا المراء فكفاك إثما أن لا تزال مماريا ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة ذروا المراء فأنا زعيم بثلاث آيات في الجنة

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه الديلمي وفيه ضعف.

في رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء وشـرب الخمر ذروا المراء فإن الشـيطان قد يئس أن يعبد ولكنـه قد رضي منكم بالتحريـش وهو المـراء ذروا المراء فإن بني إسـرائيل افترقوا على إحدى وسـبعين فرقة والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم قالوا يا رسول الله ومن السواد الأعظم قال من كان على ما أنـا عليه وأصحابي من لم يمار في دين الله ومن لم يكفر أحدا من أهـل التوحيد بذنب غفر له ثم قال إن الإسـلام بدأ غريبا وسـيعود غريبا قالـوا يا رسـول الله ومن الغرباء قـال الذين يصلحون إذا فسـد الناس ولا يمارون في دين الله ولا يكفرون أحدا من أهل التوحيد بذنب[1].

قال ابن الأمير الصنعاني: وحقيقـة المراء طعنك في كلام غيرك لإظهار خلل فيه لغير غرض سـوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه والجدال هو ما يتعلق بإظهار المذاهـب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفى به مالا أو غيره ويكون تارة ابتداء وتارة اعتراضا والمراء لا يكون إلا اعتراضا والـكل قبيح إذا لم يكن لإظهار الحق وبيانه وإدحاض الباطل وهدم أركانـه وأما مناظرة أهل العلم للفائدة وإن لم تخل عن الجدال فليسـت داخلة في النهـي وقد قال تعالى

(١) رواه الطبراني في الكبير وهو ضعيف لكن لكثير من جمله شواهد حسنة وصحيحة.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ وقد أجمع عليه المسلمون سلفا وخلفا[1].

وعن أبي سعيد قال كنا جلوسا عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر ينزع هذا بآية وينزع هذا بآية فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما يفقأ في وجهه حب الرمان فقال يا هؤلاء بهذا بعثتم أم بهذا أمرتم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وعن أنس مثله رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات أثبات[2].

وترك المراء علامة تعمق الإيمان وترسخه في قلب صاحبه فعن عمر قال لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق ويدع الكذب في المزاح وهو يرى أنه لو شاء لغلب.

وعنه أيضا قال لا يبلغ عبد صريح الإيمان حتى يدع المزاح والكذب ويدع المراء وإن كان محقا.

وكذا جاء عن أبي هريرة قال لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقا ويدع كثيرا من الحديث مخافة الكذب.

قال المناوي: كفى بك إثما أن لا تزال مخاصما لأن كثرة

---

(١) سبل السلام (١٩٦/٤).

(٢) مجمع الزوائد (١٥٦/١).

المخاصمــة تفضي غالبا في ما يــذم صاحبه ولهذا قــال داود لابنه يا بني إياك والمراء فإن نفعه قليل وهو يهيــج العداوة بين الإخوان قال بعضهم ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشــغل للقلب من المخاصمة فإن قيل لا بد من الخصومة لاســتيفاء الحقوق فالجواب ما قال الغزالي أن الذم المتأكد إنما هو خاص بباطل أو بغير علم كــوكلاء القاضي وقال بعض العارفين إذا رأيت الرجل لجوجا مرائيا معجبا برأيه فقد تمت خسارته[1].

قال أبو العلاء المعري:

ما لِلأَنــامِ وَجَدتُهُم مِــن جَهلِهِم بِالديــنِ أَشــباهَ النَعــامِ أَوِ النَعَم
فَمُجادِلٌ وَصَلَ الجِدالَ وَقَد دَرى أَنَّ الحَقيقَــةَ فيهِ لَيــسَ كَما زَعَم
عَلِــمَ الفَتــى النَظّــارُ أَنَّ بَصائِراً عَمِيَت فَكَم يَخفى اليَقينُ وَكَم يُعَم
لَو قالَ ســيدُ غَضاً بُعِثــتُ بِمِلَّةٍ مِن عِنــدِ رَبّي قــالَ بَعضُهُم نَعَم

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ ركز جيداً على خطوات المقدمة الثلاث.

٢ ـ الزم نفســك واحجزها عند النقاش في عدم الخوض في المراء والجدال وإلا فلا تناقش.

---

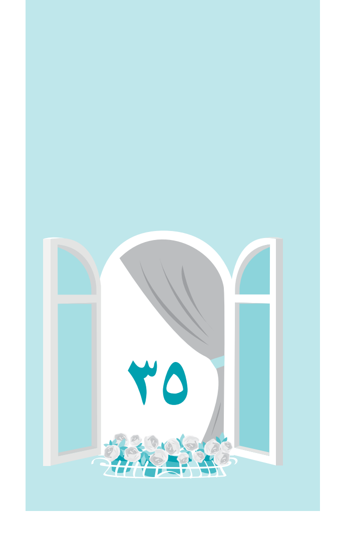
(١) فيض القدير (٥/٥).

٣ ـ درب نفســـك على محبة أن يظهر الحق مع مـــن كان كما كان يفعله الشافعي.

٤ ـ تذكر دائماً أن ترك المـــراء باب موصل إلى الجنة وأن الخوض فيه باب لزرع الأحقاد في القلوب غالباً.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من ترك المراء ولو محق كسب القلوب بكل صدق)



تحديث الناس بما يعرفون وبلغة يفهمونها

إن الله تعالــى خلق النــاس متفاوتين في كل شــيء ومن جملة ما تفاوتوا به العقول والفهوم فمــا يحتمله عقل لا يصدقه الآخر وما يثبته عقــل يكذبه الآخر وهنــاك عقول تتبع العاطفــة فتطغى عليها وعقول تحكم المنطق لا غيره وهناك عقول تســلم للشــرع ولو كان الأمر خارج نطاقها وعقول تسلم وتبحث عن العلل والحكم بالطرق المباحة وعقول تخــوض في كل أمر ولو كان فيهــا هلاكها ولله في خلقه شئون وللناس فيما يعشقون مذاهب.

لكن من الأمور المطلوبة شــرعا ومما حث الشــرع على لزومه وسياســة الناس به هو أن يحدث كل قوم بما يعرفون ويفقهون وهذا من إنزال النــاس منازلهم فما يصلح من الــكلام للخاصة لا يصلح للعامــة وما يصلح للمتعلم لا يصلح للجاهــل والأمي ومن رام غير ذلك فقد رام الشطط وسيخبط خبط عشواء ويركب متن عمياء.

ولقد راعى الله تعالى بمنه وفضله هذا الأمر في تبليغ الدين وأنه أرسل رسولا من العرب وبلســانهم ليفهموا الدين والحق ولو أتاهم

من لا يفهمون عنه لما قبلوا منه الحق ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ * كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾. [الشعراء: ٩٨ـ ١٠١]. وذلك لما علم الله تعالى أن هذا سيكون حال المكذبين للرسل ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١] ولذلك جعل الله تعالى كل رسول مرسل إلى قومه منهم ليفهموا عنه خطابه وبلاغه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقد ترجم البخاري بابين يدلان على هذا المعنى وعناية النبي ﷺ بهذا الأمر أشد عناية.

١ ـ باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه.

عن الأسود قال قال لي ابن الزبير كانت عائشة تسر إليك كثيرا فما حدثتك في الكعبة قلت قالت لي قال النبي ﷺ يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم قال ابن الزبير بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون ففعله ابن الزبير.

٢ ـ باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

وقال علي حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال يا معاذ بن جبل قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال إذاً يتكلوا وأخبر بها معاذ عند موته تأثما[1].

قال الحافظ في الفتح: والمراد بقوله بما يعرفون أي يفهمون وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره ودعوا ما ينكرون أي يشتبه عليهم فهمه وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ومثله قول ابن مسعود ما أنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة رواه مسلم وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ومالك في أحاديث الصفات وأبو يوسف في الغرائب ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة

(١) صحيح البخاري (٥٩/١).

العرنيين لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي وضابط ذلك أن يكـــون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد فالإمســاك عنه عند من يخشــى عليه الأخذ بظاهره مطلوب والله أعلم[١].

وفي صحيح مسلم باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

عن حفص بن عاصم قال قال رسول الله ﷺ كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما ســمع وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن حفص حدثنا شعبة عن خبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثل ذلك.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع

وعن ابــن وهب قال قال لــي مالك اعلم أنه ليس يســلم رجل حدث بكل ما سمع ولا يكون إماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع.

وعن عبدالله قال بحســب المــرء من الكــذب أن يحدث بكل ما سمع.

وحدثنا محمد بن المثنــى قال ســمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول لا يكون الرجل إماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع وحدثنــا يحيى بــن يحيى أخبرنــا عمر بن علي بــن مقدم عن

(١) فتح الباري (٢٢٥/١).

سفيان بن حسين قال سألني إياس بن معاوية فقال إني أراك قد كلفت بعلم القرآن فأقرأ علي سورة وفسر حتى أنظر فيما علمت قال ففعلت فقال لي أحفظ علي ما أقول لك إياك والشناعة في الحديث فإنه قلما حملها أحد إلا ذل في نفسه وكذب في حديثه

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[١].

قال المناوي: ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة لأن العقول لا تحتمل إلا على قدر طاقتها فإن أزيد على العقل فوق ما يحتمل استحال الحال من الصلاح إلى الفساد ومن ثم ورد في خبر عند الحكيم إن لله سرا لو أفشاه لفسد التدبير وللملوك سرا لو أفشوه لفسد ملكهم وللأنبياء سرا لو أفشوه لفسدت نبوتهم وللعلماء سرا لو أفشوه فسد علمهم فواجب على الحكيم والعالم التحرير الاقتداء بالمصطفى في قوله أنزلوا الناس منازلهم وقد قال عيسى لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وكن كالطبيب الحاذق يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع ومن ثم قيل تصفح طلاب حكمك كما تتصفح خطاب حرمك وبهذا ألم أبو تمام حيث قال:

وما أنا بالغيران ممن دون جارتي   إذا أنا لم أصبح غيورا على العالم

---

(١) صحيح مسلم (١/١٠ - ١١).

وقيل لحكيم ما بالك لا تطلع كل أحد على حكمة يطلبها منك فقال اقتداء بالباري تعالى حيث قال ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فتبين أنه منعهم لما لم يكن فيهم خير وبين أن في إسماعهم ذلك مفسدة(١).

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ تذكر دائماً أنه ليس كل ما يعلم يقال وليس كل أحد يُبين له الأمر فالزم هذه القاعدة.

٢ ـ برمج نفسك على أنك تريد إيصال الخير والحق للناس لا فتنتهم عند ذلك ستختار لهم ما يقدرون على فهمه فقط.

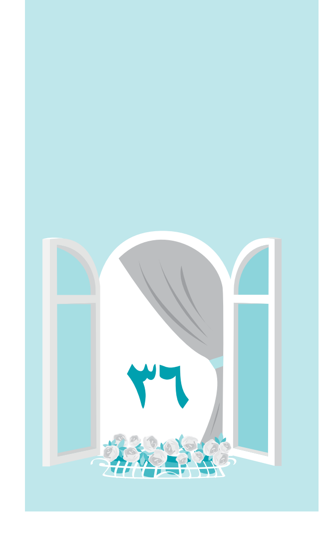
٣ ـ اعلم أن البلاغة أن يكون لكل مقام مقال ولكل مخاطب كلام وبيان فإذا لم تقم بذلك فستكون من أهل العي والجهالة.

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(حدث الناس بما يعرفون حتى لا تفتنهم فيُكّذبون ولك من قلوبهم يخرجون)

---

(١) فيض القدير (٤٢٧/٥).



مخاطبة كل قوم بلغتهم

وهذا مدخل واضح للقلوب فإن الشخص الذي لا يعرف ما تتكلم به لا ينتبه لك ولا يأبه لك ولما تقول وأما من تخاطبه بلغته فإنه يسمع لك ويتفاعل مع ما تقول.

وهذا أمر مشاهد فلو كنت في بلد غربي ولا تحسن لغتهم ولا التخاطب معهم بلغة أخرى تشعر بالضيق والحرج فإذا وجدت مثلا عربي وأنت عربي أو أحد يتكلم بالعربية تطير فرحا وكأنك ملكت الدنيا وتأنس به وتوده وترتاح إليه وحتى لو كان من غير جنسك ووجدته في بلد أجنبي لكنه يحسن لغتك ولو مكسرة وبصورة غير جيدة وغير مستقيمة فإنك تأنس به وتهفو إليه وترتاح إلى مجالسته وهذا أمر مشاهد في الواقع ومفطور في النفوس وما ذلك إلا لأن (الجنس يألف بجنسه) (والطيور على أشكالها تقع).

وحتى لو كنت في بلدك ووجدت أجنبي لا يعرف لغتك فكلمته بلغته ستجد وترى أنه يسر بك ويرتاح إليك ويفتح لك قلبه.

ولهذا الأمر أرسل الله ﷻ الرسل بألسنة قومها ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن

رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤]. ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

إن تعلم اللغات أمر يحث عليه الشرع للتواصل مع الآخرين وقد جعل الله تعالى الخلق مختلفي اللغات وهذه طبيعة الخلق ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الرُّوم: ٢٢] ومع ذلك جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] وهم مع اختلاف ألسنتهم وحثهم على التعارف فيما بينهم لا يمكن أن يتم هذا الأمر بينهم إلا بتعلمهم لغات بعضهم بعضا.

ويجري على ألسنة الناس حديث من تعلم لغة قوم أمن مكرهم وليس هذا بحديث وإن كان معناه صحيح لأن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود لهذه العلة عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود قال حتى كتبت للنبي ﷺ واقرأته كتبهم زاد أبو مسعود فلم يمر لي نصف شهرٍ حتى حذقته قال وقال رسول الله ﷺ إني والله ما آمن يهود على كتابي(١).

(١) رواه البخاري.

وقد قالوا: أن من تعلم لغة أصبح إنسانا آخر مع نفسه وكلما تعددت اللغات التي يحسنها كلما تعددت إنسانيته وهذا واضح فإن من جملة مقومات الإنسان اللغة بل هي من أعلى المقومات فالذي لا يحسن لغة كالأبكم أو الأخرس ناقص الإنسانية من حيث اللغة وقليل من يفهمه من الناس ومن يتعامل معه وهو كذلك معهم.

وأما ما ورد من نهي بعض السلف عن الرطانة بلغة الأعاجم كما قال عمر رضي الله عنه لا تعلموا رطانة الأعاجم ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تنزل عليهم.

فيقال أولا أن هذا أمر فيه خلاف بين السلف وقد ترجم ابن أبي شيبة في مصنفه هذا الخلاف.

في الكلام بالفارسية من كرهه

قال عمر ما تعلم الرجل الفارسية إلا خبث ولا خبث إلا نقصت مروءته.

وعن عطاء قال لا تعلموا رطانة الأعاجم ولا تدخلوا عليهم كنائسهم فإن السخط ينزل عليهم.

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص سمع قوما يتكلمون بالفارسية فقال ما بال المجوسية بعد الحنيفية.

من رخص في الفارسية

حدثنا وكيع عن أبي خلدة قال كلمني أبو العالية بالفارسية.

حدثنا وكيع عن النهاس بن قهم قال سمعت شيخا بمكة يقول

أشـــرف أبو هريرة من هذا الباب على هذا السوق فقال يا بني فروح سحت وداست.

حدثنا وكيع عن شـــعبة عـــن محمد بن زياد عن أبـــي هريرة أن النبي ﷺ أتي بتمرة من الصدقة فتناول الحسن بن علي تمرة فلاكها في فيه فقال له النبي ﷺ كخ كخ لا تحل لنا الصدقة.

حدثنا بن فضيل عن حبيب بن أبـــي عمرة عن منذر الثوري قال سأل رجل ابن الحنفية عن الجبن فقال يا جارية اذهبي بهذا الدرهم فاشتري به ينيرا فاشترت به ينيرا ثم جاءت به يعني الجبن[١].

كما أن أمر النبي ﷺ زيد بتعلم لغة اليهود فيه دليل على جواز تعلم اللغات وخاصة عند الحاجة لذلك وما أكثرها في هذا العصر ومن أعلى الحاجات أن نقدر على تعلم العلوم التي معهم وكذلك لنقدر على نشـــر الدعـــوة إلى الإســـلام فيهم وأعظـــم بهما من حاجتين.

وأيضاً يحمل نهى عمر وغيره على الرطانة والكلام بها من دون حاجـــة أو التفاخر بها علـــى أبناء جنســـه أو المحادثـــة بها مع من لا يعرفهـــا أو بالمبالغة بالاهتمـــام بها مع ضعف أو تـــرك الاهتمام والتحدث بالعربية التي هي لغة القرآن.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٩/٥).

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

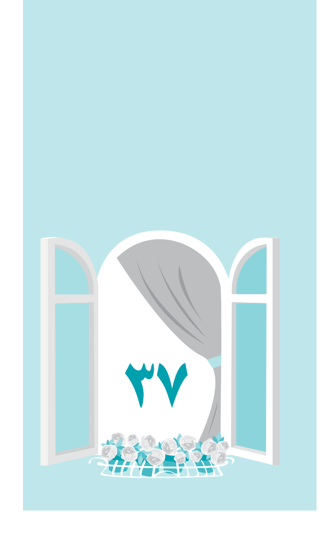
١ ـ تعلم كل يوم من ٣ – ٥ كلمات من أي لغة تريد الحديث بها.

٢ ـ ليكن اهتمامك الأول تصحيح اللفظ والمحادثة ولا يهمك كثيراً الكتابة في البداية لأن المهم في التعـــارف هو الكلام والحوار غالباً.

٣ ـ اســـتخدم الثلاث الخطوات المذكورة في المقدمة بما يناســـب المقام هنا.

لتكن الحكمة التي تســـتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من تعلم لغة قوم أمن مكرهم وكسب ودهم)



الجهر بالحق

إن الجهر بالحق أســاس المكرمات ولا يقدر عليه إلا الأبطال من الرجال أو النساء اللذين قويت قلوبهم واشتدت عزائمهم وعلت هممهم مع أن مجرد حمــل الحق قوة لصاحبــه في نفســها وصاحبه من أهل الســيادة يوم القيامة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله[1].

لكن هــذا مقيد بالعلــم والحكمــة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحــل: ١٢٥] ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال بركة محمد مادحا النبي ﷺ

فقد كان معوانا على الخير منجداً   يلبى نداء الخير مــا عظم الأمرُ
وكم كان مغوار لــدى دار ندوة   له صوتــه بالحق يرفعــه الجهرُ

إن الصالحيــن المصلحين مــن العالمين يحبــون الحق وحمله

(١) روا ه الطبراني والحاكم وفيه ضعف.

والجهـــر به ويحبون أيضـــا أن يحملـــوا الناس عليه لأن بـــه النجاة والعصمة والفوز.

قال الشوكاني:

يــا رَبِّ لا تَقْبِضَنــي قَبْـلَ مــا أَنَــالُ مــا أَرْجُــو مِــنَ السَّـبْقِ
إمّــا تُقــىً يُلْحِقنــي بالأُولَــى قَدْ أَحْرَزُوا السَّـبْقَ مِــنَ الْخَلْقِ
أو قُــدْرَة يُمْكِنُنــي عِنْدَهــا أنْ أَحْمِــلَ الْخَلْــقَ علــى الْحَقِّ

لا ينبغي للعاقل وللعالم خاصة أن يســكت عــن الحق وخاصة عند الحاجة إلى بيانــه أو في المهمات والمدلهمــات التي تمر بها الأمة والناس وإلا فإن ذلك من الخيانة وتضييع الأمانة ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقد قالوا الساكت عن الحق شيطان أخرس.

حتى أن المرء إذا أراد كسب قلوب العالمين وقبلها رضوان رب العالمين فعليه أن يجهر بالحق مع من كان رُضي عنه أم سُخط.

قال ابن تيمية: فإن كان أســتاذ أحدهم مظلومــا نصره وإن كان ظالما لم يعاونه على الظلم بل يمنعه منه كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تمنعه مــن الظلم فذلك نصرك إياه وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة

ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق فلا يعاونه بجهل ولا بهوى بل ينظر في الأمر فـإذا تبين له الحق أعان المحق منهما على المبطل ســواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره وســواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رســوله واتباع الحق والقيام بالقسط قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقســط شهداء لله ولو على أنفســكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهــوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضــوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا يقال لوى يلوي لســانه فيخبر بالكذب والإعراض أن يكتم الحق فإن الســاكت عن الحق شــيطان أخــرس ومن مال مع صاحبه سواء كان الحق له أو عليه فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورســوله والواجب على جميعهم أن يكونوا يدا واحدة مع المحق على المبطل فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله والمحبوب عندهم من أحبه الله ورســوله والمهان عندهم من أهانه الله ورسوله بحسب ما يرضى الله ورسوله لا بحســب الأهواء فانه من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه فهذا هو الأصل الذي عليهم اعتماده[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/١٦ - ١٧).

قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ‹إذا سـكت العالم تقية، وسكت الجاهل لجهله، فمتى يظهر الحق؟!›.

وقال ابن القيم وهو يبين حال إبليس في مقاله لأبنائه في كيفية إغواء بنـي آدم عن طريق اللسـان: فصل ثم يقول قومـوا على ثغر اللسـان فإنه الثغر الأعظم وهو قبالة الملك فأجروا عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه وامنعوه أن يجري عليه شـيء مما ينفعه من ذكر الله واسـتغفاره وتلاوة كتابه ونصيحته عباده أو التكلم بالعلم النافع ويكون لكم في هذا الثغر أثـران عظيمان لا تبالـون بأيهما ظفرتم أحدهما التكلم بالباطل فإنما المتكلم بالباطل أخ من إخوانكم ومن أكبر جندكم وأعوانكم الثاني السـكوت عن الحق فان الساكت عن الحق أخ لكم أخرس كما أن الأول أخ لكـم ناطق وربما كان الأخ الثاني أنفع إخوانكم لكم أما سـمعتم قول الناصح المتكلم بالباطل شيطان ناطق والساكت عن الحق شيطان أخرس فالرباط الرباط على هذا الثغـر أن يتكلم بحق أو يمسـك عن باطل وزينـوا له التكلم بالباطل بكل طريق وخوفوه من التكلـم بالحق بكل طريق واعلموا يا بني أن ثغر اللسـان هو الذي أهلك منه بنو آدم وأكبهم منه على مناخرهم في النار فكم لي من قتيل وأسـير وجريح أخذته من هذا الثغر وأوصيكم بوصية فاحفظوا لينطق أحدكم على لسـان أخيه من الإنس بالكلمة ويكون الآخر على لسـان السامع فينطق باستحسانها

وتعظيمها والتعجب منها ويطلب من أخيه إعادتها وكونوا أعوانا على الإنس بكل طريق وأدخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد أما سمعتم قسمي الذي أقسمت به لربهم حيث قلت فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين[(١)].

لكن المصلحين من الناس لا يضرهم كيد الشياطين ولا تؤثر فيهم وسوستهم ولا تخذيلهم فهم يحملون راية الحق لأنهم يعلمون أن الله تعالى بنصره وتأييده ومعيته مع الحق وأهله وقد روى أن إبراهيم الصائغ سأل أبا حنيفة وكان ـ أي إبراهيم ـ من فقهاء أهل خراسان ورواة الأخبار ونساكهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال هو فرض وحدثه بحديث عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتل فرجع إبراهيم إلى مرو وقام إلى أبي مسلم صاحب الدولة فأمره ونهاه وأنكر عليه ظلمه وسفكه الدماء بغير حق فاحتمله مرارا ثم قتله[(٢)].

لقد كان الثبات على الحق والجهر به هو منهج النبي الأعظم ﷺ فقد «قال أشراف مكة لأبي طالب إما أن تُخلي بيننا وبينه فنكفيكه ـ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي(١/٦٩).
(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/٨٧).

أي النبي ـ فإنك على مثل ما نحن عليه أو أجمع لحربنا فإنا لسنا بتاركي ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا فقد طلبنا التخلص من حربك بكل ما نظن أنه يخلص فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له يا ابن أخي إن قومك جاءوني وقالوا كذا وكذا فأبِق عليَّ وعلى نفسك ولا تحملني ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكْفُف عن قومك ما يكرهون من قولك فقال ﷺ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك في طلبه فقال امض على أمرك فوالله لا أسلمك أبداً ودعا أبو طالب أقاربه إلى نصرته فأجابه بنو هاشم وبنو المطلب غير أبي لهب وقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقَرَّ بذاك منك عيوناً
ودعوتني وعرفتُ أنك ناصحي ... ولقد صَدَقْتَ وكنتَ ثمَّ أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حِذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً[1]

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ عليك بما سبق من خطوات في المقدمة.

---

(١) مختصر السيرة (١/٩١ ـ ٩٢).

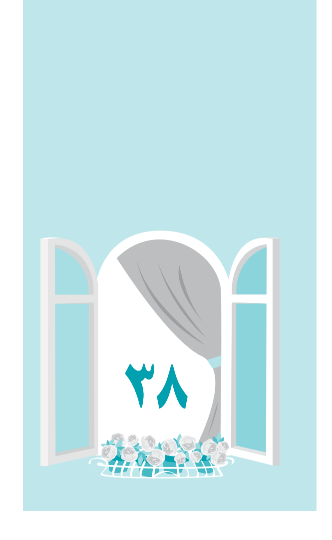
٢ ـ ليس لك من سبيل إلى هذه النافذة إلا استجماع شجاعة القلب مع العلم والحكمة لتنطق بالحق.

٣ ـ تذكر دائماً أن الدنيا متاع قليل ومع هذا هو متاع الغرور.

٤ ـ لا تستوحش من قلة من معك فهكذا أهل الحق غالباً هم القلة وأهل الباطل كثرة ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]..

لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(من جهر بالحق أحبه الخلق ونصره الحق)



إظهار المحبة وإنشاء العلاقات الطيبة

إن مصدر المحبة ومنبعها هي القلوب وما نبع من القلب وصل إلى القلب وسكن فيه لأنه هو محله على الحقيقة واعلم أن العلاقات بين الناس لا تستقيم على أحسن وجوهها ما لم تربط برباط المحبة وتوثق بوثاقها.

إن الحب أسـمى العلاقات وأرفع المرغوبات وغاية الطلبات ولأجله يبل الباذلون المهج والأرواح والأوقات والأموال وكل غالي ونفيس وخاصة حب الله تعالى ورسـوله ﷺ والعلماء والصالحين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومما بالغ به البعض في المحبة ما قاله ابن أبي حصينة:

وَمِنَ الرِجالِ ذَوِي المَحَبَّةِ ساهِرٌ يُلهِيهِ مَدحُـكَ عَن لَذيـذِ مَنامِهِ

لَو ماتَ وَانكَشَفَ الثَرى عَن رَمسِهِ لَوَجَدتَ حُبَّكَ فـي رَميمِ عِظامِهِ

والمحبة أمر باطن لا يظهر لأن محلــه القلب ولذلك كان لا بد من إظهـــاره للمحبوب حتى تتوثـــق أواصره بينهمـــا وتتعمق معانيه وتترسخ جذوره وتثمر شجرته

عن المقدام بن معدي كرب أن النبي ﷺ قـــال إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه(١).

وإظهـــار المحبة للمحبوب ممـــا تدخل إلى القلـــوب وتزيد من المودة عن أنس قال مر رجل بالنبي ﷺ وعند النبي ﷺ رجل جالس فقال الرجل والله يا رسول الله إني لأحب هذا في الله فقال رسول الله أخبرته بذلك قال لا قـــال قم فأخبره تثبت المـــودة بينكما فقام إليه فأخبره فقـــال إني أحبك في الله أو قال لله فقـــال الرجل أحبك الذي أحببتني فيه(٢).

قال أبو الفتح البستي:

إذا جَفـــاكَ خليـــلٌ كنـــتَ تألفُهُ فاطلُبْ سِواهُ فَكُلُّ النَّاسِ إخوانُ
وإن نَبَّتْ بِكَ أوطانٌ نَشَـــأْتَ بها فارحَـــلْ فـــكلُّ بِـــلادِ اللهِ أوطانُ

عن صفوان بن عســـال كنا مع النبي ﷺ في سفر فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصـــوت له جهوري يا محمد فأجابه رســـول الله ﷺ نحوا من صوته هاؤم وقلنا له ويحك اغضض من صوتك فإنك عند

(١) رواه النسائي وابن حبان والحاكم.
(٢) رواه أبو داود والنسائي والضياء في المختارة.

النبـــي ﷺ وقد نهيت عن هـــذا فقال والله لا أغضض قـــال الأعرابي المرء يحب القوم ولمـــا يلحق بهم قال النبي ﷺ المرء مع من أحب يوم القيامة(١).

عن أنس بـــن مالك قـــال جاء رجـــل إلى رســـول الله ﷺ فقال يا رســـول الله متى الســـاعة قال وما أعددت للســـاعة قـــال حب الله ورســـوله قال فإنك مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي ﷺ فإنك مع من أحببت قال أنس فأنا أحب الله ورســـوله وأبا بكر وعمـــر فأرجو أن أكون معهـــم وإن لم أعمل بأعمالهم(٢).

قال يوسف ابن أبي الفتح:

الحـــبُّ أظهـــر مـــن إقامـــة   شـــاهـــدٍ بـــيـــن الأحـــبـــه
ومـــحـــبـــةٌ بـــرهـــانـــهـــا   عـيـنٌ العيـان تعـدُّ حبَّـه
وإذا ارتضـــى المولـــى بفتوى   القلـــب فليســـتفت قلبـــه

قال شهاب الدين الخلوف:

فَالتمـــسْ عُـــذْراً لِصَـــبٍّ وَالِهٍ   إنْ يَكُـــنْ بَـــاحَ بِسِـــرٍّ أَوْ خَلَطْ
أظْهَـــرَ الحـــبَّ الَّـــذِي أضْمَرَهُ   وَإلَيْكَ العـــذرُ مِنْ ذنْـــبٍ فَرَطْ

عن علي رضي الله عنه قال ســـمعت النبي ﷺ يقول أحبـــب حبيبك هونا

---

(١) رواه الترمذي والحميدي والدارقطني وروى أصله البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.

ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما [(١)].

قال المناوي: أحبب ... فعل أمر حبيبك هونا ما .. أي أحببه حبا قليلا فهونا منصوب على المصدر صفة لما اشتق منه أحبب قال الزمخشري وما إبهامية تزيد النكرة إبهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد وقال غيره مزيدة لتأكيد معنى القلة وعليه فلا يتجه قوله في الدر كأصله أي حبا مقتصدا لا إفراط ولا تفريط فيه ويصح نصبه على الظرف لأنه من صفات الأحيان أي أحببه في حين قليل ولا تسرف في حبه فإنه عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فإنه عسى أن يكون حبيبك يوما ما أي ربما انقلب ذلك بتغيير الزمان والأحوال بغضا فلا تكون قد أسرفت في حبه فتندم عليه إذا أبغضته أو حبا فلا تكون قد أسرفت في بغضه فتستحي منه إذا أحببته ذكره ابن الأثير وقال ابن العربي معناه أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن فقد يعود الحبيب بغيضا وعكسه فإذا أمكنته من نفسك حال الحب ثم عاد بغيضا كان لمعالم مضارك أجدر لما اطلع منك حال الحب بما أفضيت إليه من الأسرار وقال عمر رضي الله تعالى عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وعليه أنشد هدبة بن خشرم:

---

(١) رواه الترمذي والضياء في المختارة وقد ضعف.

وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى فإنك راء ما عملت وسامع
وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت نازع

ولهذا قال الحسن البصري أحبوا هونا وأبغضوا هونا فقد أفرط قوم في حب قوم فهلكوا وأفرط قوم في بغض قوم فهلكوا[١].

قال ابن الحاج النميري:

فَقَبَّلَ الأَرْضَ إِعْظَاماً وَأَوْسَعَهَا لَثْماً وَلَمْ يَطْوِ مِنْ كَشْحٍ عَلَى ضَرَرِ
سَرِيرَةٌ ظَلَّ يُبْدِيهَا وَيُظْهِرُهَا مِنَ الْمَحَبَّةِ حَتَّى جَاءَ بِالْعِبَرِ
فَاعْجَبْ لِمَاءٍ غَدَا يُخْفِي سَرَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ ويُبْدِيهَا مَعَ الْكَدَرِ

قال ابن الكيزاني:

رَعَى اللهُ من أَعطى المحبةَ حَقَّها وإن لم يكن فيها من الأَمر ما يقْوَى

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ انظر ما سبق في المقدمة من خطوات.

٢ ـ عود نفسك على محبة المسلمين والصالحين منهم خاصة وأظهر ذلك لهم لأنك تكون معهم وإن لم تعمل بعملهم بمجرد محبتك لهم.

---

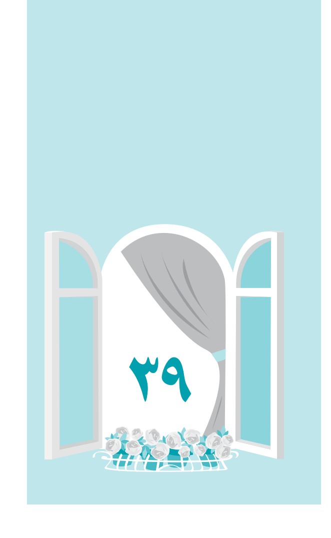
(١) فيض القدير (١٧٦/١).



٣ ـ احترم بقية الخلــق ممن هو علــى خلق ونفــع للعباد تحظى باحترامه وربما كسبته إلى دينك يوماً.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(لكل شيء مفتاح ومفتاح القلوب المحبة)



الجمال والنظافة

ومنها حسن المنظر والمظهر والهيئة فإن هذا مما حث عليه الإسلام وهو موافق لفطرة النفوس فعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الآباط[٢].

والجمال في المظهر نسبي ويبقى الأصل جمال الروح والنفس وجمال الخلق وجمال العقل وجمال التعامل وجمال النظرة إلى الحياة ولذلك قالوا « كن جميلا ترى الوجود جميلا».

قال البحتري:

أَبا جَعفَرٍ لَيسَ فَضلُ الفَتى إِذا راحَ في فَرطِ إِعجابِهِ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وَلا فـي فَـراهَـةِ بِـرذَونِـهِ وَلا فـي نَـظـافَـةِ أَثـوابِـهِ
وَلَكِنَّهُ في الفِعالِ الكَريمِ وَالـخَـطَـرِ الأَشـرَفِ النابِهِ
رَأَيتُكَ تَهوى اِقتِناءَ المَديحِ وَتَـجـهَـلُ مِـقـدارَ إيـجـابِـهِ
وَكَـيـفَ تُـرَجّي وُصـولاً إِلَـيـهِ وَلَـم تَـتَـوَصَّـل بِأَسبابِهِ

وجمال المظهر دون جمال الخلق كبرق خُلَّب وكمن ظاهره الحسن وباطنه القبح وهذا كمثل بطيخة خضراء في ظاهرها وباطنها بيضاء لا حمرة فيها ولا حلاوة.

قال عمرو بن معدي كرب

لـيـس الـجـمـالُ بـمـئـزرٍ فـاعـلـم وإن رُدِّيـتَ بُـردا
إِنَّ الـجـمـالَ مـعـادنٌ وَمَـنَـاقِـبٌ أَورَثـنَ مَـجـدا

ومما شاع بين الناس وانتشر (النظافة من الإيمان) أو (النظافة تدعوا إلى الإيمان) وهذا ليس بحديث ولكن معناه صحيح فإن الإسلام هو دين النظافة والجمال والحسن وقد ورد من حديث عائشة تنظفوا فإن الإسلام نظيف[1].

قال علي الدرويش:

وأفـده أن الديـن حـب نظافة وتشبث الأوساخ مُفْضٍ للجرب

عن صالح بن أبي حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول إن

---

(١) رواه ابن حبان في الضعفاء وهو ضعيف.

الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أراه قال أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود قال فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال حدثنيه عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبي ﷺ مثله إلا أنه قال نظفوا أفنيتكم قال أبو عيسى هذا حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف(١).

قال عمر اليافي:

من كلّ ما قد شان نظّفِ الوعا   وكن فتىً وصيتي قد سمعا
وصفِّ منك القلبَ من أكدار   ما قد رمتهُ النفس من أقذار

بل إن في النظافة حماية لصاحبها من الأمراض وغيرها وهي عنون جماله وجلاله وكماله.

قال قاسم الكستي:

ولازمٌ لهم إزالةُ الدرن   عن كل ثوبٍ ومكانٍ وبدن
إذ قيل في نظافة الأبدانِ   والثوب والمكان عمرٌ ثان
وأن يعودوا على الكمال   حتى ينالوا أحسن الخصال

وانظر أنت إلى من تراه نظيف في بدنه وثيابه ومنزله وسيارته كيف ترتاح له وتطمئن برؤيته وتأنس بوجوده وتشعر بشعور لطيف يسري في داخلك وبالعكس لو رأيت وسخا وقذارة وهذا أمر أكثر ما تركز عليه النساء حتى أن إحداهن لا ترغب بزيارة صاحبتها ولو

(١) سنن الترمذي (١١١/٥).



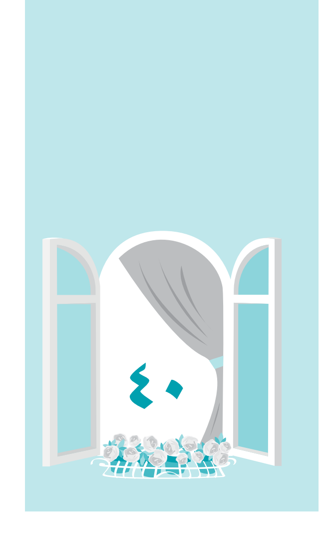
كانت من أقرب المقربين لها إذا لم يكن بيتها على غاية من التجهيز والتنظيف والترتيب لأنها تعلم أن هذه المناظر ســتعكس على لسان زائرتها إما مدحا أو ذما وإما أن تحافظ على مكانتها في قلب زائرتها أو تسقط تلك المكانة والأمر برمته إنما تعلق بالنظافة.

١ ـ قم بالنظافة في كل شــيء لأنها من الديــن وبالقيام بها يكمل الدين وبكمال الدين يكمل الإيمان وتقرب من الرحمن.

٢ ـ النظافة عنوان جمالك وعدمها عنوان اختلالك، فاختر لنفسك.

لتكن الحكمة التي تســتفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(كن جميلاً ترى الوجود جميلاً)



المناداة بأحب الأسماء

إن المناداة بالأسماء الحسنة والتسمي بها منهج إسلامي أصيل وأما غير أمة الإسلام فكثير منهم أسماء مشوشة وغير محبوبة وثقيلة نطقا ومعنى وروحا ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

إن الخروج عن سنن الهدى في التسمي أو المناداة بالاسم الحسن الذي يرتضيه صاحبه ويأنس به أمر منهي عنه شرعا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وهنا يجب أن يحسن اختيار الاسم ليحسن الناس مناداة صاحبه وإلا فيكون هو الجاني على نفسه ولقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنّبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه عليه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر: أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلّمه الكتاب أي «القرآن». قال

الولد: يا أمير المؤمنين إنّ أبي لم يفعل شيئًا من ذلك، أما أمي فإنها زنجيّة كانت لمجوسي... وقد سمّاني جُعْلاً أي «خنفساء» ولم يعلّمني من الكتاب حرفاً واحداً . فالتفت عمر ﷺ إلى الرجل وقال له: جئت إليّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقّك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

بل إنه من حقوق الولد على والده إحسان تسميته، ففي الصحيحين «أنه ﷺ أُتي له بالمنذر بن أبي أسيدٍ حين وُلد، فوضعه على فخذه، فأقاموه، فقال: أين الصبي؟ فقال أبو سعيد: قلبناه يا رسول الله ـ أي: رددناه ـ قال ما اسمه قالوا: فلان ـ وكأنه لم يعجبه اسمه ﷺ ـ فقال عليه الصلاة والسلام: ولكن سمّه المنذر».

وروى مسلم في صحيحه «أنه عليه الصلاة والسلام غير اسم عاصية ـ بنت سماها أهلها عاصية ـ إلى جميلة، وأتي برجل يقال له: أصرَم ـ مأخوذ من الصرامة ـ فسماه ﷺ زُرعة» [رواه أبو داود]

وكان ﷺ إذا سمع بالاسم القبيح حوله إلى ما هو أحسن منه، وإن كانت أراضي وأمكنة، ففي الحديث الصحيح أنه ﷺ مر على قرية يقال لها: عثرة، فسماها خُضرة».

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله سمى المدينة طيبة أو طابة» وكره أن تسمى بالاسم الجاهلي يثرب من التثريب وهو العيب.

وعندما قدم حَزَن ﷺ الصحابي الجليل على رسول الله ﷺ، وهو جد سعيد بن المسيَّب العالم المشهور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، غيّر النبي ﷺ اسمه إلى سهل، فقال له الرجل: لا أغير اسماً سمانيه أبي، يقول سعيدٌ بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما زالت تلك الحزونة فينا بعد» [أي الشدة والصلابة والعسر]

وقد يكون تغيير الاسم لمعنى آخر لا لقبحه وكراهيته كأن يشتمل على تزكية ونحو ذلك، ففي الأدب المفرد للبخاري عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن عمر بن عطاء: أنه دخل على زينب بنتَ أبي سلمة فسألته عن اسم أخت له عنده، قال فقلت: اسمها برة، قالت: غيرْ اسمها فإن النبي عليه الصلاة والسلام نكح زينب بنت جحش واسمها برة، وقال: لا تزكوا أنفسكم فإن الله أعلم بالبرة منكن والفاجرة»، ويدخل في هذا كراهية التسمية بالتقي والمتقي والمطيع والطائع والراضي والمخلص والمنيب والرشيد والسديد كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد نهى النبي ﷺ عن التسمي بالأسماء القبيحة، فقال عليه الصلاة والسلام «لئن عشت إن شاء الله لأنهين أن يسمى رباح ونجيح وأفلح ويسار» وفي رواية «لأنهين أن يسمِين بنافعة وبركة ويساراً» وثبت أنه ﷺ قال: «لا تسم غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح» لما في هذه الأسماء من التشاؤم والتزكية، وكان ﷺ يعجبه التفاؤل حتى في الأسماء، فقد جاء في الحديث

الصحيح «أنه كان ﷺ يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع يا راشد» أي من الرشاد والنجاح،[١].

قال ابن القيم في ذكر المنهي عنه من الأسماء « ومنها الأسماء التي لها معان تكرهها النفوس ولا تلائمها كحرب ومرة وكلب وحية وأشباهها وقد تقدم الأثر الذي ذكره مالك في موطئه أن رسول الله ﷺ قال للقحة من يحلب هذه فقام رجل فقال أنا فقال ما اسمك قال الرجل مرة فقال له اجلس ثم قال من يحلب هذه فقام رجل آخر فقال له ما اسمك قال حرب فقال له اجلس ثم قال من يحلب هذه فقام رجل فقال أنا قال ما اسمك قال يعيش فقال له رسول الله ﷺ احلب فكره مباشرة المسمى بالاسم المكروه لحلب الشاة.

وقوله لما جاء سهيل بن عمرو يوم الصلح سهل أمركم وقوله لبريدة لما سأله عن اسمه فقال بريدة قال يا أبا بكر برد أمرنا ثم قال ممن أنت قال من أسلم فقال لأبي بكر سلمنا ثم قال ممن قال من سهم قال خرج سهمك ذكره أبو عمر في استذكاره حتى أنه كان يعتبر ذلك في التأويل فقال رأيت كأنا في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طالب فأولت العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب وإذا أردت أن تعرف تأثير الأسماء في مسمياتها فتأمل حديث سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده قال أتيت إلى النبي ﷺ

---

(١) هدي النبي ﷺ في الأسماء والكنى والألقاب سلمان المالكي موقع صيد الفوائد.

فقال ما اسمك قلت حزن فقال أنت سـهل قال لا أغير اسما سمانيه أبي قال ابن المسيب فما زالت تلك الحزونة فينا بعد رواه البخاري في صحيحه والحزونة الغلظة.

وتأمل ما رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب ﵁ قال لرجل: ما اسـمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال أين مسكنك قال بحرة النار قال بأيتها قال بذات لظى قال عمر أدرك أهلك فقـد احترقوا فكان كما قال عمر هذه رواية مالك(١).

كما أن المناداة بالاسـم أحيانا تكشـف للمرء رضا المنادي عنه من عدم رضاه فعن عائشة ﵂ قالت قال لي رسول الله ﷺ إني لأعلم إذا كنـت عني راضيـة وإذا كنت علي غضبى قالـت فقلت من أين تعرف ذلـك فقال أما إذا كنـت عني راضية فإنـك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبـى قلت لا ورب إبراهيم قالت قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك(٢).

قال بهاء الدين زهير:

جَزى اللهُ عَنّي الحُـبَّ خَيراً فَإِنَّهُ   بِهِ اِزدادَ مَجدي في الأَنامِ وَعَليائي
وَصَيَّرَ لـي ذِكراً جَميـلاً لِأَنَّني   أُحَسِّـنُ أَفعالي لِتُسـمَعَ أَسمائي

ولقد جعل النطق بالاسم شرطا في حسـن أدب الاستئذان عند

(١) تحفة المودود في أحكام المولود (١٢٠/١ - ١٢٢).
(٢) رواه البخاري ومسلم.

طرق الباب فعن جابر ﷺ قال أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب فقال من ذا فقلت أنا فقال أنا أنا كأنه كرهها[1].

وفي مجمع الزوائد « باب ما يصفي الود

عن شـيبة الحجبي عن عمه قال قال رسول الله ﷺ ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه وفي رواية وتعوده إذا مرض رواه الطبراني في الأوسط وفيه موسى بن عبدالملك بن عمير وهو ضعيف[2].

خطوات عملية لتعلم هذه النافذة والاستفادة منها:

١ ـ اختر من الأسماء لك ولمن معك أحسنها فالاسم عنوان المسمى.

٢ ـ نادي الناس بأحب أسمائهم إليهم ولا تكن من المتنابزين بالألقاب.

٣ ـ احذر نبز الناس بالألقاب فمن رمى بيوت الناس رموا بيته فكسروه. والبادي أظلم.

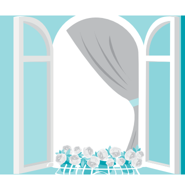
لتكن الحكمة التي تستفيدها اليوم، والميزان الذي تسير به في الحياة:

(إحسان المناداة دليل المودة)

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) مجمع الزوائد (٨٢/٨).

إضاءات في طريق العمل بالنوافذ والاستفادة منها



وهذه مجموعة من الخطوات والإضاءات على طريق العمل بهذه النوافذ والتخلق بها وممارستها حتى يتم النفع التام منها:

١ ـ تذكر أن هذا أمر يرضي الله تعالى وأنت شخص يسعى لرضاه.

٢ ـ بعض هذه النوافذ من صفات الله وأفعالــه مع خلقه فتخلق بها يحبك الله.

٣ ـ هذه النوافــذ أو أغلبها من أخـــلاق الأنبيـــاء وصفاتهم فتخلق بأخلاق هؤلاء الخيرة لتكون من أهل الخير والصلاح.

٤ ـ هــذه النوافذ من صفات الرجال الأفــذاذ وأنت تحب أن تكون ذلك الرجل الفذ.

٥ ـ هذه النوافذ كمال في الإنسان فدرب نفسك عليها ولو قليلاً كل يوم.

٦ ـ جاهد نفسك على فعل هذه النوافذ لأن الأمر يحتاج إلى جهاد للنفس.

٧ ـ بهذه الصفات تكون ســيداً على الناس فهــل أنت ممن يحبون السيادة إذن فاتصف بها.



٨ ـ هذه النوافذ من صفة العظماء وأنت منهم فأظهر هذه الصفة بين الناس لترى عظمتك.

٩ ـ لا تظن أنها صعبة فما دام أنه قد قـام بها أحد قبلك فبإمكانك القيام بها لأنك إنسان مثله.

١٠ ـ هذا أمـر لا يكلف الكثير مع أنـك تقوم به فعـلاً بل والكل يحسنه.

١١ ـ هذا أمر سـهل فقم به لكل أحد لأنك فـي الحقيقة تقوم به للبعض.

وها قد تم ما أردت تسـطيره في هذه النوافذ مـن أفكار وكلام ونقول على حسب الجهد والطاقة وهذا جهد المقل فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد مالا يرضيه فليسـامح كاتبه وليدعو له بظهر الغيب أن يهديه الله رشـده ويلهمه أمره ويقيه شر نفسه ويوفقه للخير وإصابة الحق. وفي الختام أسأل الله أن يتقبل هذا العمل مني ويتجاوز عني وعن جميع المسـلمين، وأسـأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه ومسـتمعه والعامل بما فيـه، وأن يجعل هـذا الكتاب بوابة ونافذة للخير والمحبة بين الناس إنه جواد كريم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الخاتمة

أنفع النوافذ على الإطلاق هي نافــذة القرب من الله تعالى لأنها تفتح جميع النوافذ والقلــوب. ثم دعائه ســبحانه لأن القلوب بيده يصرفها كيف شاء.

وأقوى النوافذ المتاحة للجميع هي الابتســامة ثم السلام. لأنها لا تكلف شيء ويمكن بذلها لكل الخلق ويمكن فعلها في كل وقت وتقابل بها من تعرف ومن لا تعرف إنهمــا لغة تترجمها كل العيون والأسماع والقلوب.

ومن باب لا يشكر الله من لا يشكر الناس، فقد استفدت في تخرج أغلب الأحاديث من برنامج الموسوعة الإسلامية الكبرى الشاملة.

كما أني استفدت في توثيق أغلب الأشعار من برنامج الموسوعة الشعرية.

كما أشكر العاملين من وراء الكواليس وأعني بهم بعض المواقع في الشبكة العنكبوتية التي استفدت منها. فالشكر لها عموماً وإن لم اسمها.

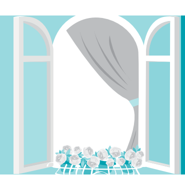
وكتبه

عصام محمد الغمامي ـ الدوحة

١٤٣٤/٢/١٧هـ ـ ٢٠١٢/١٢/٣٠م

esam1112009hotmail.com

جوال (٠٠٩٧٤١٥٥٤٩٠٣٨٥)



الفهرس

